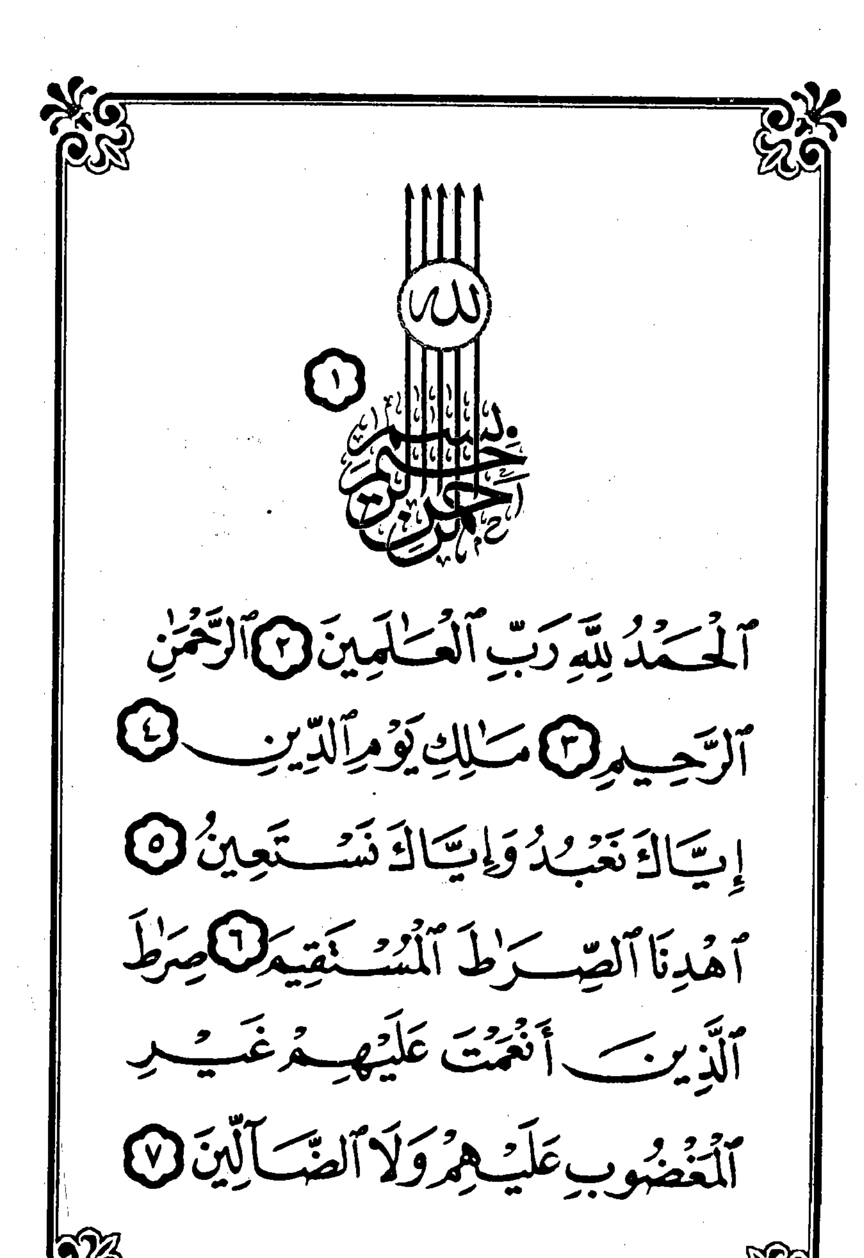
الرسول ﷺ واليهود
وجهاً لوجه
(٢)

الفكر اليهودي

تأليف
الدكتور سعد المرصفي

مكتبة المنار الإسلامية



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ
ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾
ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ
ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ
ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾

الفكر اليهودي

الطبعة الأولى
١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م






كويت - حولي - شارع المثنى - تلفون: ٢٦١٥٠٤٥ - فاكس: ٢٦٣٦٨٥٤ - ص.ب: ٤٣٠٩٩ حولي - الرمز البريدي 32045
Kuwait - Hawalli Al-Mothana Street, Tel.: 2615045, Fax 2636854, P.O.Box: 43099 Hawalli, Postal Code No. 32045

مقدمة

الفكر اليهِودي هو عصب العنصرية اليهودية... وبالرغم من الالتحام العضوى بين ماهو عقيدة وما هو عنصرية، وبالرغم من أن نتيجة ذلك كانت من الناحية الاجتماعية إبقاء تلك الطائفة الشريرة معزولة عن الإنسانية ـ عبر التاريخ ـ فإن تأثير الفكر اليهودى كان عميقا فى الفكر البشرى، بقدر ماكان متأثرا بالوثنيات والانحرافات!

وهو مجموعة من العقائد التى دخلها التحريف، والطقوس التى قامت على التخريف، تراكمت وتبلورت، حتى أصبحت خطرا على الإنسانية !

وحسبنا أن ندرك أن اليهودى فى كل مراحل تاريخه ذو طبيعة لاتتغير، فهو من ناحية العقيدة وثنى، ومن ناحية الأخلاق فى الدرك الهابط دون الحيوان، وقد استحالت نفسه إلى اللؤم والخسة والفساد والإفساد فى الأرض، بحيث لم يعد فيها موضع يصلح لبذرة خير أو معروف، لأن غرائز الشر والتوحش تنمرت فى تلك النفس الخبيثة، حتى أصبحت هكذا!

ومن ثم استخدمت الصهيونية من ألوان الحرب والكيد والمكر ضد الدين القيم، مايعجز الخيال الشاخص عن تصوره بحال من الأحوال !

وهى فى هذه الفترة تعالج إزالة الإسلام بجملته، وتحسب أنها تدخل معه فى المعركة الأخيرة الفاصلة ....لذلك تستخدم جميع الأساليب التيِ جربتها منذ عصر الرسالة والرسول ﷺ ... بالإضافة إلى مااستحدثته منها، جملة واحدة....كل ذلك وفق ما يمليه الفكر اليهودى !

ومن هنا كان الحديث عن معاول الفكر اليهودى ـ كما تصوره أسفارهم ـ ضروريا، لأن المعرفة من المكونات الرئيسة لمعالم دوافع هذه الحرب المستعرة، وكانت الحاجة ماسة إلى عرض ماجاء فى الكتاب والسنة فى هذا المقام، رجاء أن يكون فى ذلك ذكرى تفيدنا فى مواجهة هؤلاء اليهود الذين هم أشد الناس عداوة للإسلام والمسلمين !

وقد اقتضت منهجية البحث أن يشتمل على مايأتى:

الفصل الأول: عقيدة اليهود من أسفارهم.

الفصل الثاني: أضواء على التوراة.

الفصل الثالث: الأسفار وأنبياء بني إسرائيل.

الفصل الرابع: ضلالات التلمود.

والله أسأل: التوفيق والسداد، والعون والرشاد، إنه سميع مجيب؛

الكويت في : ٢٨ رجب ١٤١٢ هـ
١ فبراير ١٩٩٢ م

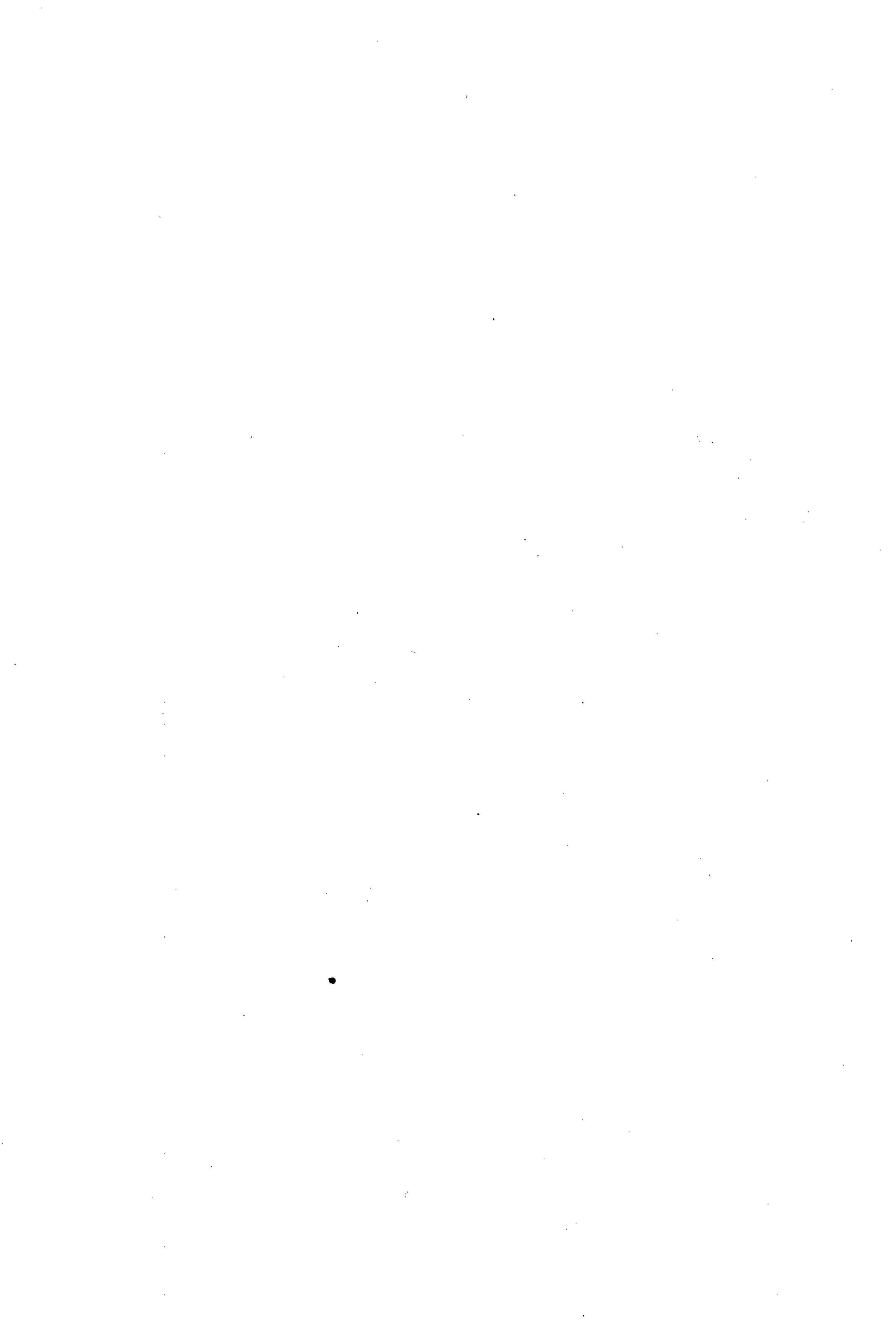
سعد محمد محمد الشيخ (المرصفي)

الفصل الأول

عقيدة اليهود من أسفارهم

إله كنعانى ـ « عزير ابن الله » ـ آلهة أخرى ـ

انحطاط حيوانى.



إله كنعانى:

يقول الأستاذ أحمد عطار: [1] فى كل مراحل التاريخ الإنسانى، كان اليهودى ذا طبيعة لا تتغير، فهو من ناحية عقيدته وثنى، وعندما ألقى إليه التوحيد لم يفهمه حق الفهم ـ إلا قلة نادرة ـ وكانت عقيدة التوحيد غير متفقة مع فطرته وطبيعته وسلوكه !

وأسفار اليهود المقدسة ـ وفيما يطلقون عليه التوراة التى تتكون من خمسة أسفار ـ تصور حقيقة اليهودى، وأسفارهم هذه تدينهم وتوثقهم، وتذكر أن اليهود قذارة البشر !

فمن ناحية العقيدة عبدوا « يهوه » أو « ألوهيم » ووحدوه، ولكنه لم يكن توحيد موسى الحق، بل هو قائم على الشرك والتعدد، وأشبه مايكون بالجنسية !

فهم يوحدون « يهوه » ولكنهم لا يكفرون بغيره، بل يعترفون بآلهة الآخرين، كما يعترف إنسان بجنسيته، ويعترف إلى جانب ذلك بالجنسيات الأخرى !

بل وصل بهم الأمر إلى أن جعلوا أفضل من فيهم، وهم الأنبياء والرسل ليسوا بأهل لأن يكونوا كذلك ـ كما سيأتى ـ إذا اعتمدنا توراتهم وأسفارهم المقدسة، لأن فى أقوالهم وأعمالهم المزعومة والمنسوبة إليهم ما ينقض الرسالة والنبوة والتوحيد، بل إن أعمالهم وأقوالهم هذه مما لا يرضى به الشرفاء من بنى الإنسان !

ففى توراتهم وأسفارهم المقدسة وصف رسلهم وأنبيائهم بما يتنزه عنه المهذبون، منذ عرف الإنسان الأخلاق الكريمة حتى اليوم، وأن بعض رسلهم وأنبيائهم بلغ بهم الانحطاط الخلقى حدا لم يصل إليه المجردون من الإنسانية، إلا من كان من بنى الإنسان يعيش بطبيعته البهيمية العجماء، وهو افتراء محض على الله ورسله وأنبيائه !

إن اليهود صوروا أنبياءهم ورسلهم أبشع صورة وأقذرها، ليبيحوا لأنفسهم القذارة والسفالة وكل الأخلاق اللئيمة الممقوتة، وإذا كان القدوة قذرا سافلا فلا لوم على المقتدي أن يكون كذلك !

ولا لقاء بين اليهود فى نظريتهم فيما يختص بالرسل والأنبياء وبين المسلمين ـ كما سيأتى ـ لأن المسلمين ينزهون الرسل والأنبياء جميعا كل التنزيه عما ألصقوه بهم من تهم وأخلاق ذميمة منكرة!

---

(١) اليهودية والصهيونية: ٢٩ وما بعدها بتصرف.

وأما العقيدة اليهودية فلم تكن قط عقيدة توحيد إذا اعتمدنا مصادرهم التى تأتى في طليعتها توراتهم وتلمودهم وأسفارهم المقدسة، فى حين أن الإسلام يؤكد أن دين موسى توحيد حق، وإيمان بأنه لا إله إلا الله، ونفى لكل شريك.

والعقيدة اليهودية التى تصورها أسفار اليهود المقدسة عندهم عقيدة وثنية، فالإله الذى يعبدونه ليس « الله » الواحد الأحد، بل هو إله قبلى محلى خاص بهم، لا يشركهم فيه سواهم، ولا يرضون أن يشركهم فيه أحد غيرهم !

وهذا الإله الذى يعرفونه بكملة « يهوه » إله كنعانى ابتدعه الوثنيون، وأخذه اليهود عنهم، وزادوا فى صفاته ما يتفق مع حياتهم وطبيعتهم !

يقول « ول ديورانت » (١) : يبدو أن الفاتحين اليهود عمدوا إلى أحد آلهة كنعان فصاغوه فى الصورة التى كانوا هم عليها وجعلوا منه إلها، ويؤيد ذلك أن من بين الآثار التى وجدت فى كنعان سنة ١٩٣١م قطعا من الخزف من بقايا عصر البرنز (٣٠٠٠ق م) عليها اسم إله كنعانى يسمى « ياه » أو « ياهو » .

وعلى هذا تكون كلمة « يهوه » معروفة قبل ميلاد إبراهيم عليه السلام .

وفى أسفارهم المقدسة أن إبراهيم عرف « يهوه » بلفظه ومعناه !

وقصة « الخليقة » لدى اليهود منقولة عن « بابل » وكذلك قصة « الطوفان » !

وفكرة « المخلص » نقلها اليهود عن الديانة الفارسية وتمسكوا بها !

ونظر اليهود فى صفات إلههم « يهوه » إلى الديانات الوثنية، وفكرة « خصوصية » الإله منقولة عن الوثنيات التى سبقت ديانتهم أو عاصرتها !

والمخالفات التى تزدحم بها التوراة والتلمود وكتب اليهود التى يقدسونها لحقيقة التوحيد تثبت أن التوراة الأصلية الصحيحة التى فيها هدى ونور قد تغيرت وحرفت على أيدى اليهود ـ كما سيأتى ـ ودخلت فيها الوثنيات من الشرك والتعدد والكفر والإلحاد وكل أنواع الباطل والفساد، وما تذكر من التجسيد وصفات « يهوه » من الحمق والطيش والندم والتوحش والتعطش إلى الدماء البريئة ـ كما نشاهد الآن فى الأرض المحتلة ـ والمحاباة لعباده إنما هو مذكور فى صفات آلهة بابل وآشور وغيرهما !

---

(١) مقارنة الأديان : اليهودية: ١٦٠ نقلا عن قصة الحضارة: ٢: ٣٤٠

وفى الفترات التى كانت دعوة التوحيد الموسوية تعلو على غيرها لم تخل اليهودية من اعتقاد التعدد، فقد كانوا يؤمنون بإلههم « يهوه » مع الاعتراف بألهة الشعوب الأخرى !

«عزير ابن الله » :

وأخذوا بفكرة البنوة لله من المسيحية ومن كرشنا وبوذا وباخوس، فزعم اليهود أن «عزرا» الذى ذكره القرآن باسم « عزير » هو ابن الله !

وصدق الله العظيم:

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ (١)

وقد أورد صاحب المنار (٢) خلاصة مفيدة عن مكانة عزرا عند اليهود وعلق عليها كذلك تعليقا مفيدا ننقل منه فقرات تفيدنا فى بيان حقيقة ما عليه اليهود إجمالا، قال:

« جاء فى دائرة المعارف اليهودية الإنكليزية (طبعة ١٩٠٣) أن عصر عزرا هو ربيع التاريخ المِلّى لليهودية، الذي تفتحت فيه أزهاره، وعبق شذا ورده، وأنه جدير بأن يكون هو ناشر الشريعة (وفى الأصل عربة أو مركبة الشريعة) لو لم يكن جاء بها موسى (التلمود ٢١ب) فقد كانت نسيت، ولكن عزرا أعادها أو أحياها. ولولا خطايا بني إسرائيل لا استطاعوا رؤية (المعجزات) كما رأوها فى عهد موسى ١٠٠هـ وذكر فيها ـ أنه كتب الشريعة بالحروف الأشورية، وكان يضع علامة على الكلمات التى يشك فيها ـ وأن مبدأ التاريخ اليهودى يرجع إلى عهده .

وقال الدكتور «جورج بوست » فى قاموس الكتاب المقدس: عزرا (عون) كاهن يهودىِ، وكاتب شهير، سكن بابل مدة « ارتحشستا » الطويل البارع، وفى السنة السابعة لملكه أباح لعزرا أن يأخذ عددا وافرا من الشعب إلي أورشليم سنة ٤٥٧ ق م (عزرا ص٧) وكانت مدة السفر أربعة أشهر.

ثم قال : وفى تقليد اليهودى يشغل عزرا موضعا يقابل بموضع موسى وإيليا، ويقولون: إنه أسس المجمع الكبير، وإنه جمع أسفار الكتاب المقدس، وأدخل الأحرف الكلدانية عوض العبرية القديمة، وإنه ألف أسفار « الأيام » و «عزرا » و « نحميا » .

---

(١) التوبة: ٣٠.

(٢) تفسير المنار: ١٠ : ٣٢٢ ومابعدها ، وانظر: فى ظلال القرآن: ٣: ١٦٣٦.

ثم قال : ولغة سفر « عزرا » من ص ٤ : ٨ ـ ٦ : ١٩ كلدانية، وكذلك ص ٧ : ١ ـ ٢٧ وكان الشعب بعد رجوعهم من السبى يفهمون الكلدانية أكثر من العبرانية ا هـ .

وجملة القول: إن اليهود كانوا وما زالوا يقدسون عزيرا هذا، حتى أطلق عليه لقب «ابن الله » .

آلهة أخرى:

وعندما نجى الله اليهود على يد موسى عليه السلام، ورأوا معجزاته وما تم على يديه، وكانوا في سيناء، حيث الأمن والدعة والحرية والرزق، طلبوا إلى رسول الله موسى عليه السلام ـ كما سبق ـ أن يجعل لهم آلهة، فزجرهم أشد الزجر !

بل ترك اليهود عبادة الله وحده، وعادوا إلى وثنيتهم، وهم حديثو عهد بمعجزة النجاة، وكفروا بالهداية وبالنجاة وبنعم الله التى لا تحصى، وانقلبوا مشركين بنص توراتهم !

ففى سفر الخروج، وهو من أسفار توراتهم: [١]

« ولما رأى الشعب موسى أبطأ في النزول من الجبل، اجتمع الشعب على هارون وقالوا له: اصنع لنا آلهة تسير أمامنا، لأن هذا موسى الرجل الذى أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه ..! » .

وفيه أيضا:

« تضرع موسى أمام الرب إلهه، وقال: لماذا يتكلم المصريون قائلين: أخرجهم بخبث، ليقتلهم فى الجبال، ويفنيهم عن وجه الأرض، ارجع عن حمو غضبك، واندم على الشر بشعبك »

وفيه: «فندم الرب على الشر الذى قال إنه يفعله بشعبه !»

هذا هو مفهوم اليهودى من عقيدة التوحيد، وهذا الذى حدث كان والديانة غضة طرية، وعبدوا العجل الذهبى وموسى على مقربة منهم ـ كما سبق ـ وجحدوا فضل الله عليهم.

وفى جميع مراحلهم أشركوا بالله، بل كفروا« بيهوه » وأخلصوا لغيره.. وعلى سبيل المثال نذكر بعض الحوادث التى تثبت كفر اليهود من كتبهم المقدسة التى لم تقتصر على

---

(١) سفر الخروج: ٣٢ : ١.

نسبة الشرك والكفر إلى العامة، بل نسبتهما إلى رسل كرام يؤمنون برسالتهم، ومنهم سليمان عليه السلام.

فى سفر « الملوك الأول » بالإصحاح الحادى عشر:

«وكان فى زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى .. فذهب وراء آلهة الصيدونيين ... وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللاتى كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن»!

وفى سفر «الملوك الأول» بالإصحاح الثانى عشر:

« بنى يربعام شكيم فى جبل افرايم وسكن بها .. وعمل عجلى ذهب، وقال لهم: كثير عليكم أ تصعدوا إلى أورشليم، هوذا آلهتك ياإسرائيل »!

وفى سفر « أرميا » الإصلاح الخامس، الفقرة ١٩:

« كما تركتمونى وعبدتم آلهة غريبة فى أرضكم، هكذا تعبدون الغرباء فى أرض ليست لكم » .

وفى سفر « أرميا » ٧: ١٧ ـ ١٨:

« أما ترى ماذا يفعلون فى مدن يهوذا، وفى شوارع أورشليم، الأبناء يلتقطون حطبا، والآباء يوقدون النار، والنساء يعجن العجين ليصنعن كعكا لملكة السموات، ولسكب سكائب لآلهة أخرى لكي يغيظونى» .

وملكة السموات هذه هى« عشتروت » أو« عشيرا » التى يصفها « غوستاف لوبون » في كتابه: « اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى » بأنها الآلهة الشهوانية التى كان العبريون يعبدونها فى الأماكن العليا بين الغياض، والتى كانوا يأتون الدعارات تكريما لها!

هذه شواهد من أسفار اليهود المقدسة، ولو أردت الاستشهاد بأكثر مما ذكرت لطال بنا الحديث وطال، فأسفارهم مزدحمة بمروقهم عن التوحيد، بل عن عبدة ربهم « يهوه » إلى عبادة آلهة الوثنيين. فتقربوا لهذه الآلهة بقرابين بشرية، إذ أحرقوا أولادهم تقربا إليها !

ولم يقف الكفر والشرك على عامة اليهود، بل تجاوزهم إلى الرسل الكرام عليهم السلام، مثل سليمان، وزعموا فى كتبهم أن هؤلاء الرسل اعترفوا بالبعل إله الكنعانيين، فكانوا يسمون أبناءهم أسماء منسوبة إلى البعل .. وداود عليه السلام سمى أحد أبنائه « بعليان داع » كما يذكر« أخبار الأيام الأول » ٨: ٣٤، ٩: ٤٠، ١٤: ٧.

وأبشع من كل هذا ماجاء فى« التلمود » الذى يقدسه اليهود أكثر من « التوراة » بل «التلمود» ـ كما سيأتى ـ هو الكتاب الفريد فى القدسية، ولا يذكر « التوراة » بجانبه شيئا، فيزعم « التلمود » أن فى «التوراة» أحكاما لايعاقب تركها بالموت، أما« التلمود » فإن من يخالف حرفا واحدا فجزاؤه القتل !

وهبط اليهود بإلههم « يهوه » فى التلمود إلى هوة سحيقة من الذل والهوان، وصيروه تابعا ذليلا للحاخام، ولا أمر« ليهوه » ولا طاعة، بل زعم التلمود أن كلام الحاخام شرع ووحى، لأنه يصبح« يهوه » مع الاحتفاظ للحاخام بتفوقه على« يهوه» ،فهو أعظم منه، وإذا اختلف« يهوه » والحاخام فالحق مع الحاخام،بل إن « يهوه » خاضع للحاخام، لأن « يهوه » مجبر على إجراء مايريده الحاخام، وهو مؤتمر بأمره، ومنته بنهيه !

بل بلغ من عظم« التلمود » أن سفر« مجيلا » بالفقرة الواحدة والعشرين يقول:«إن الله يدرس التلمود منتصبا على قدميه » !

ونخرج « من« التلمود » و« التوراة » وأسفار اليهود المقدسة عندهم بتقرير وإعلان الكفر المقيت، والإلحاد اللئيم، والشر البشع، والتعدد الحقير !

انحطاط حيوانى:

والعقيدة الدينية التى يعتقدها اليهود تجعلهم فى حل من كل عقيدة، وتحملهم على فعل ما يستقبحه العقل والضمير، ويستقذره الإنسان، لأنها عقيدة جيوانية، وتعالى الله عز وجل عما يصنعه اليهود، وتعالى عما يشركون !

وعقيدة اليهود الدينية أبشع ما عرف التاريخ البشرى من عقائد، فهى عقيدة الشرك والشقاق والنفاق والاحتكار والقتل والوحشية والأذى !

وفى جميع مراحل عقيدة اليهود لم تكن عقيدة هداية وتهذيب ورشد، ولم تعط العالم قط أى بشرى أو خير أو إحسان، بل أعطته النقيض.. أعطته الشر والأذى، والموت الزؤام والفساد، ولم توح قط بالأخوة الإنسانية، والرحمة والتعاطف والحب.

ولم تكن قط ديانة اليهود رسالة خير وبناء، بل كانت فى جميع مراحلها ـ ياستثناء عهد موسى وهارون، وبعض العهود التى تولى الحكم فى بنى إسرائيل رسل كرام ـ ديانة هدم وتخريب وإبادة !

ومن المؤسف أن عقيدة اليهود الدينية لا تفهم الخير ولا تدرك معناه، وإذا فهمته فإنما تفهمه على أنه الشر المستطير، الذى لاشر مثله، ولا يكون الخير إلا فى قتل الأبرياء والعجزة والشيوخ والنساء والأطفال، وسلب الأموال، وانتهاك الحرمات، وتمزيق الأعراض، ونشر الفتن والفساد فى الأرض ! كما نرى ونشاهد فى الأرض المحتلة !

ونبصر فى كثير من العقائد وصايا تعد من تراث الإنسانية المشترك: اعمل الخير، أكرم الضيف، أعن المحتاج، ارحم العاجز، لاتسرق، لاتزن، لاتقتل، لاتشهد بالزور، لاتقرض بربا، لاتغش..

ولاشك أن هذه الوصايا تعمر القلوب والدنيا، وتجعل الحياة طيبة كريمة، وعندما تناولها اليهود حولوها إلى شر محض !

وديانة اليهود ـ كما جاء فى التلمود وفى التوراة وبقية الأسفار المقدسة ـ تأمر اليهودى بأن يغش غير اليهودى فيقول له التلمود: غش الجيويم « وهم كل أمم الأرض ماعدا اليهود» واسلب أموالهم بالربا الفاحش، فإذا وجدت مالا ضائعا للأجنبى فلا ترده إليه، لأن رده إليه ذنب لا يغفره الله.

وديانتهم تفخر بالخداع والغش والكذب، وتنص على أن الحاخامين الذين هم آلهة عندهم بنص التملود وأعظم من ربهم المعبود« يهوه » ـ كما عرفنا ـ يغشون الأممى.

وتذكر مافعله الحاخام الأكبر الرابى« صموئيل »، وهذا نص التلمود مترجما إلى العربية:

« إن الرابى صموئيل كان رأيه أن سرقة الأجانب حلال، وقد اشترى هو نفسه من أجنبى آنية من الذهب كان يظنها الأجنبى نحاسا، ودفع له ثمنها أربعة دراهم وهو ثمن بخس، وسرق درهما من البائع ! »

وإذا كان هذا الحاخام الأكبر كذابا وغشاشا ولصا فغيره أشد من باب أولى، وكل اليهود سواء فى الطبيعة القذرة الشريرة !

وإن أشد المجرمين من غير اليهود يعد صالحا، إذا قيس على حاخامى اليهود الذين هم آلهة عند أتباعهم وعبادهم !

وطبيعى أن يكون اليهود جميعا بلا استثناء مجردين من الطبيعة البشرية ! فالفضيلة

والأخلاق الإنسانية الكريمة قيد ثقيل يصد صاحبها عن الآثام والمحرمات والموبقات، ويدفعه إلى فعل الخير والعمل الصالح، واليهودى لايطيق هذا القيد، ولهذا لايستطيع أن يتخلق بالأخلاق الكريمة، لأنه مطبوع على التحلل من كل قيد من قيود الأخلاق والفضائل والإنسانية والمروءة!

وديانته تأمره بهذا التحلل، وترى أبشع الجرائم أقدس الفضائل، فالزنا حرام محض فى جميع الشرائع والديانات إلا فى« التلمود » كتاب اليهود المقدس الذى يسمو على توراتهم، فهو - كما سيأتى - ينص على أن الزنا حلال بغير يهودية ! يقول« غوستاف لوبون» فى كتابه« اليهود » : ٥١:

ليس زنا الأزواج هو الجرم الوحيد الذى تحرمه الشريعة على مزاج بنى إسرائيل الداعر، ففى شريعتهم تعداد لدعارات عنيفة، مع شدة عقوبة من يقترف إحداها، وتثبت هذه الشدة كثرة المخالفات.

وسفاح ذوى القربى: أى الزنا بالأخت، والزنا بالأم، واللواط، والمساحقة، ومواقعة البهائم، من أكثر الآثام التى كانت شائعة بين الشعب الذى نص«تاسيت » على شبق له، لا يروى غليله.

وأريد لدى بنى إسرائيل - كما عند كل شعب ذى غلمة - خلط أفظع الملاذ بالطقوس المقدسة، وموافقة الشريعة على هذه الملاذ، فعدت ضروب البغاء تكريما لعشتروت، وعد الانهماك فى السكر على بسط الأزهار، وتحت ظلال شجر الزيتون فى الليالى الرطيبة نوعا من العبادة التى لم تفتأ تمارس آنئذ فى فلسطين، على الرغم من غضب الأنبياء!

وما فى الفصل الثانى عشر من سفر اللاويين من المحظورات، كسفاح ذوى القربى، واللواط، ومواقعة الرجال والنساء للبهائم وما إلى ذلك ... يدل على درجة غلمة الشعب اليهودى !

فهو باسم الديانة يمارس هذه الجرائم المنكرة البشعة، وما جاء التشديد البالغ أقصى درجاته إلا لأن اليهود كانوا مولعين ولعا لا حد له بممارسة هذه الجرائم، يمارسها اليهودى مع اليهودى واليهودية !

والتلمود يبيح لليهودى الفاحشة مع غير اليهودية، كما يحل له كل ماتحرمه الشرائع

وقوانين الأرض !

والعقيدة التى تصنع ذلك، لن تكون عقيدة صالحة، ولن تعطى غير الشر، ولهذا لم يعتنقها غير اليهود، الذين أدركوا مافى عقيدتهم من الكفر المنكر والفساد والآثام والجرائم والموبقات، فجعلوها عقيدة خاصة بهم، كما جعلوا ديانتهم مغلقة على أنفسهم، حتى يفتخروا بأنهم هم الذين يحرمون على غيرهم الدخول فى ديانتهم، كما حرموا على غيرهم إلههم « يهوه » الذى أباح الزنا لبعض الأنبياء، كما عاقب داود على زناه بأن يجعل ابنه ـ كما سيأتى ـ يزنى بنساء أبيه، وفى وضح النهار، وأمام بنى إسرائيل !

ولو كانت هذه الموبقة وحدها لا ستبشع الناس عقيدة اليهود، فكيف وقد أضافوا إليها كل مافى الأرض من الموبقات والآثام !

ولا غرابة أن يستبشع الناس ديانة اليهود، وينكروا عليهم البشرية ويحاربوهم منذ القدم، وحتى اليوم وبعده، فعقيدتهم الدينية، وطبيعتهم وأخلاقهم .. كل أولئك يجبر الناس إجبارا، ويدفعهم دفعا شديدا إلى محاربة هذا الشعب الكافر اللئيم، الذى وقف عليه كل مافى الوجود من آثام وجرائم، وشرور وموبقات، كما يدفعهم إلى محاربة عقيدته التى تأمر بالمنكر، وتنهى عن المعروف، وتكفر بالله !



الفصل الثانى

أضواء على التوراة

الأسفار المقدسة ـ « هدى ونور » ـ

تحريف وتخريف



الأسفار المقدسة:

والتوراة كلمة عبرانية ـ كما يقول صاحب المنار [١] ـ معناها المراد: الشريعة أو الناموس، وهى في عرف القرآن: ما أنزله الله تعالى من الوحى على موسى عليه الصلاة والسلام، ليبلغه قومه، لعلهم يهتدون به .

وتطلق عندهم على خمسة أسفار، وهى:

١ ـ سفر التكوين .

٢ ـ سفر الخروج.

٣ ـ سفر التثنية .

٤ ـ سفر اللاويين .

٥ ـ سفر العدد .

أما سفر التكوين« أو الخلق » [٢] فسمى بذلك لأنه يقص خلق السموات والأرض، ويحكى قصة خلق آدم عليه السلام وأكله من الشجرة، ونزوله إلى الأرض، كما يحكى قصة نوح عليه السلام، وقصة الطوفان، وقصة إبراهيم عليه السلام وأولاده، وينتهى هذا السفر بالحديث عن قصة يوسف عليه السلام إلى أن مات .

وأما سفر الخروج فسمى بذلك لأنه يحكى تاريخ بنى إسرائيل فى مصر، وكيف خرجوا منها ؟ وكيف عاشوا بعد ذلك ؟ كما يحكى قصة التيه وما جرى بينهم وبين موسى عليه السلام .

وأما سفر التثنية فسمى بذلك لأنه يكرر ويعيد التعاليم .. ومعظمه يدور حول الشئون التشريعية والاقتصادية والسياسية الخاصة ببنى إسرائيل .

وأما سفر اللاويين فمعظمه يدور حول شئون العبادات والوصايا والأحكام، والطقوس والأعياد، والنذور، واللاويون هم نسل « لاوى » أحد أبناء يعقوب عليه السلام، ومنهم موسى وهارون عليهما السلام، ونسب هذا السفر إليهم، لأنهم كانوا سدنة الهيكل ، وحفظة الشريعة، ومعظمه يدور حول مايشرفون عليه من عبادات ومعاملات .

---

(١) تفسير المنار: ٣: ١٥٥ ـ١٥٦ بتصرف.

(٢) بنو إسرائيل في القرآن والسنة: ١: ٨٤ وما بعدها بتصرف .

وأما سفر العدد فمعظمه يدور حول تقسيم بني إسرائيل، وبيان تعداد أسباطهم وجيوشهم وأموالهم وذكورهم وإناثهم .. وبجانب هذا بعض الأحكام التى تتعلق بالعبادات والمعاملات.

أما الأربعة والثلاثون سفر الباقية فمنسوبة إلى أشخاص كتبوها بعد موسى عليه السلام بأزمان متفاوتة فى الطول والقصر..[1] وهى مقدسة أيضا عند اليهود، ويصنفونها في ثلاثة أبواب، [2] ويضعون فى الباب الأول اثنى عشر سفرا، وهى: سفر يوشع، والقضاة، وراعوث، وصموئيل الأول، وصموئيل الثانى، والملوك الأول، والملوك الثانى، وأخبار الأيام الأول، وأخبار الأيام الثانى، وعزرا، ونحميا، وأستير.

وتسمى هذه الأسفار الاثنا عشر الأسفار التاريخية.

والباب الثانى يحتوى خمسة أسفار، وهى : سفر أيوب، والمزامير، والأمثال، والجامعة، والأناشيد.

وتسمى الأسفار الشعرية أو أسفار الأناشيد.

ويضعون فى الباب الثالث مابقى من الأسفار،وعدده سبعة عشر سفرا، هى: سفر أشعياء، وأرميا، والمرائى، وحزقيال، ودانيال، وهوشع، ويوئيل، وعاموس، وعوبديا، ويونان، وميخا، وناحوم، وحبقوق، وصفنيا، وحجى، وزكريا، وملاحى.

وهناك سبعة أسفار أخرى تضمها الكنيسة الكاثوليكية إلى التسعة والثلاثين سفرا السابقة، وهى: طوبيا، ويهوديت، والحكمة، ويسوع بن سيراخ، وباروخ، والمكابيين الأول، والمكابيين الثانى.

وأهمها جميعا مايعرف بالتوراة، وهى خمسة الأسفار الأولى ...

« هدى ونور » :

يعترف الإسلام بالتوراة التى أنزلها الله على موسي، ولايعترف بسواها من أسفار العهد القديم، قال تعالى:

﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ

---

(١) انظر: المرجع السابق: ٨٥ ومقارنة الأديان: اليهودية: ٢١٩ ومابعدها.

(٢) اليهودية والصهيونية: ٨٧ ـــ ٨٨ بتصرف.

وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ۝ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ (١).

﴿ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ﴾ (٢).

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (٣).

فالتوراة ـ كما أنزلها الله ـ كتاب الله الذى جاء لهداية بنى إسرائيل، (٤) وإنارة طريقهم إلى الله .وطريقهم فى الحياة .. وقد جاءت تحمل عقيدة التوحيد.. وتحمل شعائر تعبدية شتى ... وتحمل كذلك شريعة:

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ﴾

أنزل الله التوراة، لا لتكون هدى ونورا للضمائر والقلوب، بما فيها من عقيدة وعبادات فحسب، ولكن كذلك لتكون هدى ونورا، بما فيها من شريعة تحكم الحياة الواقعية وفق منهج الله، وتحفظ هذه الحياة فى إطار هذا المنهج ويحكم بها النبيون الذين أسلموا أنفسهم لله ـ كما أسلفنا ـ فليس لهم فى أنفسهم شىء ، إنما هى كلها لله، وليست لهم مشيئة ولا سلطة ولا دعوى فى خصيصة من خصائص الألوهية ـ وهذا هو الإسلام فى معناه الأصيل ـ يحكمون بها للذين هادوا.. فهى شريعتهم الخاصة، نزلت لهم فى حدودهم هذه، وبصفتهم هذه ـ كما يحكم بها لهم الربانيون والأحبار ـ وهم قضاتهم وعلماؤهم ... وذلك بما أنهم قد كلفوا المحافظة على كتاب الله، وكلفوا أن يكونوا عليه شهداء، فيؤدوا له الشهادة فى أنفسهم، بصياغة حياتهم الخاصة وفق توجيهاته، كما يؤدوا له الشهادة فى قومهم بإقامة شريعته بينهم.

وقبل أن ينتهى السياق من الحديث عن التوراة، يلتفت إلى الجماعة المسلمة، ليوجهها فى شأن الحكم بكتاب الله عامة، وما قد يعترض هذا الحكم من شهوات الناس وعنادهم وحربهم وكفاحهم، وواجب كل من استحفظ على كتاب الله فى مثل هذا الموقف،

---

(١) آل عمران: ٢ ـ ٣ .	(٢) الأحقاف: ١٢ .

(٣) المائدة : ٤٤ .	(٤) فى ظلال القرآن: ٢: ٨٩٦ بتصرف .

وجزاء نكوله أو مخالفته:

﴿ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾

ولقد علم الله سبحانه أن الحكم بما أنزل الله ستواجهه فى كل زمان وفى كل أمة معارضة من بعض الناس، ولن تتقبله نفوس هذا البعض بالرضى والقبول والاستسلام !

ستواجهه معارضة الكبراء والطغاة وأصحاب السلطان الموروث.. ذلك أنه سينزع عنهم رداء الألوهية الذى يدعونه، ويرد الألوهية لله خاصة، حين ينزع عنهم حق الحاكمية والتشريع والحكم بما يشرعونه هم للناس مما لم يأذن به الله !

وستواجهه معارضة أصحاب المصالح المادية القائمة على الاستغلال والظلم والسحت.. ذلك أن شريعة الله العادلة لن تُبقِى على مصالحهم الظالمة !

وستواجهه معارضة ذوى الشهوات والأهواء والمتاع الفاجر والانحلال الداعر ذلك أن دين الله سيأخذهم بالتطهر منها، وسيأخذهم بالعقوبة عليها !

وستواجهه معارضات شتى غير هذه وتلك، ممن لايرضون أن يسود الخير والعدل والصلاح فى الأرض !

علم الله سبحانه أن الحكم بما أنزل الله ستواجهه هذه المقاومة من شتى الجبهات، وأنه لابد للمستحفظين عليه والشهداء أن يواجهوا هذه المقاومة، وأن يصمدوا لها، وأن يحتملوا تكاليفها فى النفس والمال .. فهو يناديهم:

﴿ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ ﴾

فلا تقف خشيتهم للناس دون تنفيذهم لشريعة الله.. سواء من الناس أو أولئك الطغاة البغاة الذين يأبون الاستسلام لشريعة الله، ..ويرفضون الإقرار – من ثم – بتفرد الله سبحانه بالألوهية ... أو أولئك المستغلون الذين تحول شريعة الله بينهم وبين الاستغلال وقد مردوا عليه ... أو تلك الجموع المضللة المنحرفة أو المنحلة التى تستثقل أحكام شريعة الله وتشغب عليها .. لا تقف خشيتهم لهؤلاء جميعا ولغيرهم من الناس دون المضى قدما فى تحكيم شريعة الله فى الحياة .. فالله وحده هو الذى يستحق أن يخشوه، والخشية لاتكون إلا لله.

كذلك علم الله سبحانه أن بعض المستحفظين على كتاب الله المستشهدين، قد تراودهم أطماع الحياة الدنيا،وهم يجدون أصحاب السلطان، وأصحاب المال، وأصحاب الشهوات، لايريدون حكم الله فيتملقون شهوات هؤلاء جميعا، طمعا فى عرض الحياة الدنيا، كما يقع من المحترفين للدين فى كل جيل وفى كل قبيل، وكما كان ذلك واقعا فى علماء بنى إسرائيل، سواء بسواء .. فناداهم الله:

﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾

وذلك لقاء السكوت، أو لقاء التحريف، أو لقاء الفتاوى المدخولة !

وكل ثمن هو فى حقيقته قليل... ولوكان ملك الحياة الدنيا .. فكيف وهو لايزيد عن أن يكون رواتب ووظائف وألقابا ومصالح صغيرة يباع بها الدين، وتشترى بها جهنم عن يقين؟!

إنه ليس أشنع من خيانة المستأمن !

وليس أبشع من تفريط المستحفظ !

وليس أخس من تدليس المستشهد !

والذين يحترفون الدين يخونون ويفرطون ويدلسون، فيسكتون عن العمل لتحكيم ما أنزل الله، ويحرفون الكلم عن مواضعه، لموافاة أهواء ذوى السلطان على حساب كتاب الله !

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾

بهذا الحسم الصارم الجازم .. وبهذا التصميم الذى تحمله « من » الشرطية وجملة الجواب.. بحيث يخرج من حدود الملابسة والزمان والمكان، وينطلق حكما عاما، فى أى جيل، ومن أى قبيل !

إن المماحكة فى هذا الحكم الصارم الجازم العام الشامل، لا تعنى إلا محاولة التهرب من مواجهة الحقيقة . والتأويل والتأول فى مثل هذا الحكم لا يعنى إلامحاولة تحريف الكلم عن مواضعه !

يروى الشيخان وغيرهما عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال: إن اليهود جاءوا إلى رسول الله ﷺ ، فذكروا له أن رجلا منهم وامرأة زنيا، فقال لهم رسول الله ﷺ :

«ما تجدون فى التوراة فى شأن الرجم ؟»

فقالوا: نفضَحُهم ويُجلَدون . قال عبدُ الله بن سَلام: كذبتم. إن فيها الرجم، فأتَوْا بالتوراة فنشروها، فوضع أحدهم يده على آية الرجم، فقرأ ماقبلها وما بعدها . فقال عبد الله بن سلام: ارفع يدك . فرفع يده، فإذا فيها آية الرجم، قالوا: صدقَ يامحمد، فيها آية الرجم، فأمر بهما رسول الله ﷺ فرُجِماَ، فرأيت الرجل يَحْنى على المرأة يقيها الحجارة» (١)

ويروى مسلم عن البراء بن عازب قال: مُرَّ على النبى ﷺ بيهودىٍ مُحَمَّماً (٢) مجلودا. فدعاهم ﷺ فقال:

« هكذا تجدون حد الزانى فى كتابكم ؟»

قالوا: نعم. فدعا رجلا من علمائهم . فقال:

« أنشدك بالله الذى أنزل التوراة على موسى ! أهكذا تجدون حد الزانى فى كتابكم ؟ »

قال : لا. ولولا أنكَ نَشَدتنى بهذا لم أخبرك. نجده الرجم . ولكنه كثر فى أشرافنا فكنا، إذا أخذنا الشريف تركناه. واذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد .

قلنا: تعالوا فلنجتمع على شىء نقيمه على الشريف والوضيع. فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم. فقال رسول الله ﷺ :

« اللهم إنى أول من أحيا أمرك إذ أماتوه »

فأمربه فرجم. فأنزل الله عز وجل:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ﴾

إلى قوله :

﴿ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ ﴾ (٣) .

---

(١) البخارى: ٨٦ ـ الحدود (٦٨٤١)، ومسلم: ٢٩ ـ الحدود ٢٦ (١٦٩٩)، ومالك: ٤١ ـ الحدود (١)، والترمذى (١٤٣٦)، وأبوداود (٤٤٤٦ ، ٤٤٤٩) والشافعى فى الرسالة (٦٩٢) تحقيق أحمد محمد شاكر.

(٢) مُحَمَّماً: أى مسود الوجه، من الحممة: الفحمة .

(٣) المائدة: ٤١ .

يقول: ائتوا محمدا ﷺ . فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه وان أفتاكم بالرجم فاحذروا. فأنزل الله تعالى:

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (١).

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٢).

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٣).

فى الكفار كلّها. (٤)

ويعود السياق القرآنى لعرض نماذج من شريعة التوراة التى أنزلها الله ليحكم بها النبيون والربانيون والأحبار للذين هادوا، بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء:

﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٥).

ويمضى السياق القرآنى فى بيان اضطراد هذا الحكم العام فيما بعد التوراة:

﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ۝ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ (٦)

ويصل السياق القرآنى إلى الرسالة الأخيرة، وإلى الشريعة الأخيرة.. (٧) إنها الرسالة التى جاءت تعرض الإسلام فى صورته النهائية الأخيرة، ليكون للبشرية كلها، ولتكون شريعته هى شريعة الناس جميعا، ولتهيمن على كل ماكان قبلها، وتكون هى المرجع النهائى ولتقيم منهج الله لحياة البشرية، حتى يرث الله الأرض ومن عليها... المنهج الذى تقوم عليه الحياة فى شتى شعبها ونشاطها.. والشريعة التى تعيش الإنسانية الحياة فى إطارها. وتدور حول محورها، وتستمد منها تصورها الاعتقادى، ونظامها الاجتماعى، وآداب سلوكها الفردى والجماعى..

---

(١) المائدة: ٤٤ . (٢) المائدة: ٤٥ . (٣) المائدة: ٤٧ .

(٤) مسلم: ٢٩ ـ الحدود ٢٨ (١٧٠٠)، وأبو داود (٤٤٢٤) عون المعبود . (٥) سورة المائدة: آية ٤٥ .

(٦) المائدة: ٤٦ ـ ٤٧ . (٧) فى ظلال القرآن: ٢: ٩٠١ بتصرف .

وقد جاءت كذلك ليحكم بها، لا لتعرف وتدرس، وتتحول إلى ثقافة فى الكتب والدفاتر، والرسائل والشهادات، والنظم العلمية وكفى !

وقد جاءت لتتبع بكل دقة، ولا يترك شىء منها ويستبدل به حكم آخر فى صغيرة من شئون الحياة أو كبيرة:

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ فَٱسْتَبِقُوا ٱلْخَيْرَٰتِ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٤٨) وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (١).

ويقف الإنسان أمام هذه النصاعة فى التعبير، وهذا الحسم فى التقرير، وهذا الاحتياط البالغ لكل مايهجس فى الخاطر من مبررات لترك شىء ولو قليل من هذه الشريعة فى بعض الملابسات والظروف .

وهذه الآيات ـ كما جاء فى المنار ـ (٢) تتمة السياق .. حيث بين الله تعالى شأنه إنزال التوراة، ثم الإنجيل.. وما أودع فيهما من هدى ونور، وما حتم عليهم من إقامتهما، وما شدد عليهم من إثم ترك الحكم بهما. فناسب بعد ذلك أن يذكر إنزاله القرآن على خاتم النبيين والمرسلين، ومكانه من الكتب التى قبله، وكون حكمته تعالى اقتضت تعدد الشرائع ومناهج الهداية .. فتلك مقدمات ووسيلة، وهذا هو المقصد والنتيجة، قال:

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾

أى وأنزلنا إليك الكتاب الكامل الذى أكملنا به الدين، فكان هو الجدير بأن ينصرف إليه معنى الكتاب الإلهى عند الإطلاق، وهو القرآن المجيد .. هذه حكمة التعبير بالكتاب بعد التعبير عن كتاب موسى باسمه الخاص « التوراة » وعن كتاب عيسى باسمه الخاص «الإنجيل».. وقوله « بالحق » إلخ، معناه متلبسا بالحق مؤيدا به، مشتملا عليه مقررا له، بحيث لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، مصدقا لما تقدمه من جنس الكتب الإلهية

---

(١) المائدة: ٤٨ ـ ٥٠ .

(٢) تفسير المنار: ٦ : ٤١٠ بتصرف .

كالتوراة والإنجيل، أى ناطقا بتصديق كونها من عند الله، وأن الرسل الذين جاءوا بها لم يفتروها من عند أنفسهم.

وأما قوله « ومهيمنا عليه » أى على جنس الكتاب الإلهي... فمعناه أنه رقيب عليها وشهيد، بما بينه من حقيقة حالها، فى أصل إنزالها، وما كان من شأن من خوطبوا بها من نسيان حظ عظيم منها وإضاعته، وتحريف كثير مما بقى منها وتأويله، والإعراض عن الحكم والعمل بها، فهو يحكم عليها لأنه جاء بعدها. روى ابن جرير عن ابن عباس أنه قال «ومهيمنا عليه» يعنى أمينا عليه، يحكم على ماكان قبله من الكتب. [1] وفى رواية عنه: مؤتمنا عليه. وفى رواية عن قتادة: أمينا وشاهدا على الكتب التى خلت قبله:

﴿ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ ﴾

والأمر موجه ابتداء إلى رسول الله ﷺ فيما كان من أمر أهل الكتاب الذين يجيئون إليه متحاكمين.. ولكنه ليس خاصا بهذا السبب، بل هو عام.. وإلى آخر الزمان..

لقد كمل هذا الدين، وتمت به نعمة الله على المسلمين . ورضيه الله لهم منهج حياة للناس أجمعين. ولم يعد هنالك من سبيل لتعديل شىء فيه أوتبديله، ولا لترك شىء من حكمه إلى حكم آخر .

وقد علم الله حين رضيه للناس، أنه يسع الناس جميعا . وعلم الله حين رضيه مرجعا أخيرا أنه يحقق الخير للناس جميعا. وأنه يسع حياة الناس جميعا، إلى يوم الدين.

وقد علم الله أن معاذير كثيرة يمكن أن تقوم وأن يبرر بها العدول عن شىء مما أنزل الله ، واتباع الأهواء... وأن هواجس قد تتسرب فى ضرورة الحكم بما أنزل الله بلا عدول عن شىء فيه، فى بعض الملابسات والظروف، فحذر الله نبيه ﷺ فى هذه الآيات مرتين من اتباع أهواء المتحاكمين، ومن فتنتهم له عن بعض ما أنزل الله إليه..

وأولى هذه الهواجس: الرغبة البشرية الخفية فى تأليف القلوب بين الطوائف المتعددة، والاتجاهات والعقائد المتجمعة فى بلد واحد. ومسايرة بعض رغباتهم عندما تصطدم ببعض أحكام الشريعة ، والميل إلى التساهل فى الأمور الطفيفة، أو التى يبدو أنها ليست من أساسيات الشريعة !

---

(١) تفسير الطبرى: ٦: ٢٦٦ ـ ٢٦٧ .

﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾

روى ابن جرير عن ابن عباس وغيره [1] فى قوله « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » سبيلا وسنة، وقوله « ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم » يقول تعالى ذكره: ولو شاء ربكم لجعل شرائعكم واحدة، ولم يجعل لكل أمة شريعة ومنهاجا غير شرائع الأمم الأخر، ومنهاجهم فكنتم تكونون أمة واحدة، لاتختلف شرائعكم ولا يختلف منهاجكم، ولكنه تعالى ذكره يعلم ذلك، فخالف بين شرائعكم ليختبركم، فيعرف المطيع منكم من العاصى، والعامل بما أمره فى الكتاب الذى أنزله إلى نبيه ﷺ من المخالف. والابتلاء: هو الاختبار، وقد ثبت ذلك بشواهده. وقوله «فيما آتاكم» يعنى فيما أنزل عليكم من الكتب، وروى ابن جرير عن ابن جريج: قال عبد الله بن كثير: لا أعلمه إلا قال: ليبلوكم فيما آتاكم من الكتب.

فإن قال قائل: وكيف قال: « ليبلوكم فيما آتاكم» ومن المخاطب بذلك، وقد ذكرت أن المعنى: « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » لكل نبى من الأنبياء الذين مضوا قبله، وأممهم الذين قبل نبينا ﷺ ، والمخاطب النبى وحده؟

قيل: إن الخطاب وإن كان لنبينا ﷺ، فإنه قد أريد به الخبر عن الأنبياء قبله وأممهم، ولكن العرب من شأنها إذا خاطبت إنسانا وضمت إليه غائبا، فأرادت الخبر عنه تغلب المخاطب، فيخرج الخبر عنهما على وجه الخطاب، فلذلك قال تعالى ذكره:

﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾

بذلك أغلق الحق مداخل الشيطان كلها، وبخاصة مايبدو منها تأليفا للقلوب وتجميعا للصفوف، بالتساهل فى شىء من شريعة الله، فى مقابل إرضاء الجميع! أو فى مقابل مايسمونه وحدة الصفوف! أو فى مقابل ما أطلق عليه فى عصرنا مجمع الكنيست والكنيسة والمسجد ! أو مؤتمر الأديان !

إن شريعة الله أبقى وأغلى من أن يضحى بجزء منها فى مقابل شىء قدر الله ألا يكون! فالناس قد خلقوا، ولكل منهم استعداد، ولكل منهم مشرب، ولكل منهم منهج، ولكل منهم طريق، ولحكمة من حكم الله خلقوا هكذا مختلفين. وقد عرض الله عليهم

(١) المرجع السابق : ٢٧١ ـ ٢٧٢ بتصرف .

الهدى، وتركهم يستبقون. وجعل هذا ابتلاء لهم، يقوم عليه جزاؤهم يوم يرجعون إليه، وهم إليه راجعون.

وإنها لتعلة باطلة إذن، ومحاولة فاشلة، أن يحاول أحد تجميعهم على حساب شريعة الله، أو بتعبير آخر على حساب صلاح الحياة البشرية وفلاحها. فالعدول أو التعديل فى شريعة الله لايعنى شيئا إلا الفساد فى الأرض، وإلا الانحراف عن المنهج الوحيد القويم، وإلا انتقاء العدالة فى حياة البشر، وإلا عبودية الناس بعضهم لبعض، واتخاذ بعضهم لبعض أربابا من دون الله ... وهو شر عظيم وفساد عظيم .. لا يجوز ارتكابه فى محاولة عقيمة لا تكون، لأنها غير ماقدره الله فى طبيعة البشر، ولأنها مضادة للحكمة التى من أجلها قدر ماقدر من اختلاف المناهج والاتجاهات والمشارب... وهو خالق الخلق وصاحب الأمر الأول فيهم والأخير .. وإليه المرجع والمصير...

إن محاولة التساهل فى شىء من شريعة الله، لمثل هذا أو ذاك محاولة سخيفة، وخلق من أخلاق يهود !

وهنا يبدو ترابط الآيات ـ كما سبق ـ ويبدو تأكيد هذه الحقيقة فى قوله:

﴿ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾

ويعود السياق فيؤكد هذه الحقيقة، ويزيدها وضوحا:

﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾

وإذا كان النص السابق قد يعنى النهى عن ترك شريعة الله كلها إلى أهوائهم فإن هذا النص يحذره من فتنتهم له عن بعض ما أنزل الله.. والتحذير هنا أشد وأدق، وهو تصوير للأمر على حقيقته ..فهى فتنة يجب أن تحذر ..والأمر فى هذا المجال لايعدو أن يكون حكما بما أنزل الله كاملا، أو أن يكون اتباعا للهوى وفتنة يحذر الله منها ..

ثم يستمر السياق القرآنى فى تتبع الهواجس والخواطر، فيهون على رسول الله ﷺ أمرهم إذا لم يعجبهم هذا الاستمساك الكامل بالصغيرة قبل الكبيرة فى هذه الشريعة، وإذا هم تولوا فلم يختاروا الإسلام دينا، أو تولوا عن الاحتكام إلى شريعة الله، كما فعل اليهود:

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴾

فإن تولوا فلا عليك منهم، ولا يفتنك هذا عن الاستمساك الكامل بحكم الله وشريعته. ولاتجعل إعراضهم يفت فى عضدك أو يحولك عن موقفك.. فإنهم إنما يتولون ويعرضون، لأن الله يريد أن يجزيهم على بعض ذنوبهم. فهم الذين سيصيبهم السوء بهذا الإعراض: لا يصيبك أنت ولاشريعة الله ودينه، ولا الصف المسلم المستمسك بدينه..ثم إنها طبيعة البشر:

﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴾

فهم يخرجون وينحرفون، لأنهم هكذا، ولا حيلة لك فى هذا الأمر ، ولاذنب للشريعة ! ولاسبيل لاستقامتهم على الطريق !

وبذلك يغلق كل منافذ الشيطان ومداخله إلى النفس المؤمنة، ويأخذ الطريق على كل حجة وكل ذريعة لترك شيء من أحكام هذه الشريعة، لغرض من الأغراض، فى ظرف من الظروف ..

ثم يقفهم على مفرق الطريق .. فإما حكم الله، كما يأمر الله، وإما حكم الجاهلية، كما فعل اليهود تماما ! ولاوسط بين الطرفين ولابديل !

حكم الله يقوم فى الأرض، وشريعة الله تنفذ فى حياة الناس، ومنهج الله يقود حياة البشر.. أو أنه حكم الجاهلية، وشريعة الهوى، ومنهج العبودية ـ كما فعل اليهود تماما ـ فأيهما يريدون ؟

﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾

إن معنى الجاهلية يتحدد بهذا النص. فالجاهلية ـ كما يصفها الحق ويحددها القرآن ـ تتمثل فى هذا الخلق الذى هو ـ كما عرفنا ـ طابع يهود .. حكم البشر للبشر .. ومن ثم فالجاهلية ليست فترة من الزمان، ولكنها وضع من الأوضاع، وجد بالأمس، ويوجد اليوم، ويوجد غدا، فيأخذ صفة الجاهلية ! [1]

ثم يسألهم سؤال استنكار لابتغائهم حكم الجاهلية، وسؤال تقرير لأفضلية حكم الله:

---

(١) انظر : جاهلية القرن العشرين: ٧ وما بعدها .

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾

وأجل ! فمن أحسن من الله حكما ؟

ومن ذا الذى يجرؤ على ادعاء أنه يشرع للناس، ويحكم فيهم، خيرا مما يشرع الله لهم ويحكم فيهم ؟ وأية حجة يملك أن يسوقها بين يدى هذا الادعاء العريض ؟

أيستطيع أن يقول: إنه أعلم بمصالح الناس من خالق الناس ؟ أيستطيع أن يقول: إن الله سبحانه وهو ينزل شريعته الأخيرة، ويرسل رسوله خاتم النبيين، ويجعل رسالته خاتمة الرسالات، ويجعل شريعتة شريعة الأبد .. كان سبحانه يجهل أن أحوالا ستطرأ، وأن حاجات ستستجد، وأن ملابسات ستقع، فلم يحسب حسابها فى شريعته، لأنها كانت خافية عليه، حتى انكشفت للناس فى آخر الزمان ؟!

ما الذى يستطيع أن يقوله من ينحى شريعة الله عن حكم الحياة ـ كما فعل اليهود ـ ويستبدل شريعة الجاهلية ـ كما استبدلوا ـ ويجعل هواه فوق حكم الله، وفوق شريعة الله؟

ما الذى يستطيع أن يقوله؟

إنه مفرق الطريق .. ولافائدة فى المماحكة عنده ولا الجدال ...

تحريف وتخريف:

وذكر القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنا أن التوراة حرفت وغيرت، وأن اليهود حرفوا الكلم عن مواضعه، ونسوا حظا مما ذكروا به، وأنهم أوتوا نصيبا من الكتاب فأضاعوه:

﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٧٥ وَإِذَا لَقُوا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوٓا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۝٧٧ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ۝٧٨ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [1].

وذلك فى الاتجاه بالخطاب إلى الجماعة المسلمة يحدثها عن بنى إسرائيل، بعد صورة الجفاف والقسوة والجدب التى صور بها قلوبهم فى الآيات من قبل:

(١) البقرة: ٧٥ ـ ٧٩ .

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (١).

إنها صورة الجفاف والقسوة والجدب.. صورة الحجارة الصلدة التى لاتنض منها قطرة، (٢) ولا يلين لها ملمس، ولاتنبض فيها حياة !

وهى صورة توحى باليأس من هذه الطبيعة الجاسية الفاسدة، الخاوية الجامدة !

والحجارة التى يقيس قلوبهم إليها، فإذا قلوبهم منها أجدب وأقسى ..هى حجارة لهم بها سابق عهد ..فقد رأوا الحجر تتفجر منه اثنتا عشرة عينا، ورأوا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم ! ورأوا ورأوا .. ولكن قلوب اليهود، هى قلوب اليهود، لاتلين ولاتندى، ولاتنبض بخشية ولاتقوى .. إنها قلوب قاسية دائما، جاسية دائما ، فاسدة دائما، مجدبة كافرة ! ومن ثم هذا التهديد:

﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾

بهذا يختم هذا الشطر من الجولة مع اليهود فى تاريخهم الحافل بالكفر والتكذيب، والالتواء واللجاجة، والكيد والدس، والقسوة والجدب، والتمرد والفسوق، مما يطول فيه الحديث..

وفى ظل هذا التصوير، وهذا الإيحاء، يلتفت السياق إلى المؤمنين، الذين يطمعون فى هداية بنى إسرائيل، ويحاولون أن يبثوا فى قلوبهم الإيمان، وأن يفيضوا عليها النور .. يلتفت إلى أولئك المؤمنين بسؤال يوحى باليأس من المحاولة، وبالقنوط من الطمع:

﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

ألا إنه لامطمع ولا رجاء فى أن يؤمن أمثال هؤلاء . فللإيمان طبيعة أخرى، واستعداد آخر.. إن الطبيعة المؤمنة سمحة هينة لينة، مفتحة المنافذ للأضواء، مستعدة للاتصال بالنبع الأزلى الخالد بما فيها من نداوة ولين وصفاء، وبما فيها من حساسية وتحرج وتقوى.. هذه التقوى التى تمنعها أن تسمع كلام الله ثم تحرفه من بعد تعقله.. تحرفه عن علم وإصرار. فالطبيعة المؤمنة طبيعة مستقيمة، تتحرج من هذا التحريف وذلك الالتواء .

---

(١) البقرة: ٧٤ .

(٢) فى ظلال القرآن: ١: ٨٤ بتصرف .

والفريق المشار إليه هنا هو أعلم اليهود وأعرفهم بالحقيقة المنزلة عليهم في كتابهم، هم الأحبار والربانيون، الذين يسمعون كلام الله المنزل على نبيهم موسى في التوراة، ثم يحرفونه عن مواضعه، ويؤولونه التأويلات البعيدة التي تخرج به عن دائرته. لا عن جهل بحقيقة مواضعه، ولكن عن تعمد للتحريف، وعلم بهذا التحريف ! يدفعهم الهوى، وتقودهم الضغينة، ويحدوهم الغرض المريض ! فمن باب أولى ينحرفون عن الحق الذى جاء به خاتم النبيين محمد ﷺ ، وقد انحرفوا عن الحق الذى جاء به نبيهم موسى عليه السلام، ومن باب أولى ـ وهذا خراب ذممهم، وهذا إصرارهم على الباطل، وهم يعلمون بطلانه ـ أن يعارضوا دعوة الإسلام .. ويروغوا منها، ويختلقوا عليها الأكاذيب !

﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

أفتطمعون أن يؤمنوا لكم، وهم يضيفون إلى خراب الذمة، وكتمان الحق، وتحريف الكلم عن مواضعه .. الرياء والنفاق والخداع والمراوغة ؟

وقد كان بعضهم يقول للذين آمنوا: آمنا .. أى آمنا بأن محمدا مرسل، بحكم ماعندهم فى التوراة من البشارة به، وبحكم أنهم كانوا ينتظرون بعثته ويطلبون أن ينصرهم الله به على من عداهم. وهو معنى قوله:

﴿ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ (١)

ولكن : « إذا خلا بعضهم إلى بعض » عاتبوهم على ما أفضوا للمسلمين من صحة رسالة محمد ﷺ، ومن معرفتهم بحقيقة بعثته من كتابهم، فقال بعضهم لبعض: «أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم» فتكون لهم الحجة عليكم ؟ ... وهنا تدركهم طبيعتهم المحجبة عن معرفة صفات الله وحقيقة علمه، فيتصورون أن الله لايأخذ عليهم الحجة إلا أن يقولوها بأفواههم للمسلمين ! أما إذا كتموا وسكتوا فلن تكون لله عليهم حجة !.. وأعجب العجب أن يقول بعضهم لبعض فى هذا : « أفلا تعقلون ؟».. فيا للسخرية من العقل والتعقل الذى يتحدثون عنه مثل هذا الحديث !

ومن ثم يعجب السياق من تصورهم هذا قبل أن يمضى فى استعراض مايقولون وما يفعلون:

---

(١) البقرة: ٨٩

﴿ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾

ثم يستطرد يقص على المسلمين من أحوال بنى إسرائيل : إنهم فريقان:

فريق أمي جاهل لايدرى شيئا من كتابهم الذى نزل عليهم، ولا يعرف منه إلا أوهاما وظنونا، وإلا أمانى فى النجاة من العذاب، بما أنهم ـ كما يزعمون ـ شعب الله المختار، الذى غفرله كل مايعمل وما يرتكب من آثام !

وفريق يستغل هذا الجهل وهذه الأمية فيزور على كتاب الله، ويحرف الكلم عن مواضعه بالتأويلات المغرضة، ويكتم منه مايشاء، ويبدى منه مايشاء، ويكتب كلاما من عند نفسه يذيعه فى الناس باسم أنه من كتاب الله:

﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (٧٨) فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾

فكيف ينتظر من أمثال هؤلاء أن يستجيبوا للحق، وأن يستقيموا على الهدى، وأن يتحرجوا من تحريف مايقف فى طريقهم من نصوص كتابهم نفسه ؟

إن هؤلاء لامطمع فى أن يؤمنوا للمسلمين، وإنما هو الويل والهلاك ينتظرهم، الويل والهلاك مما كتبت أيديهم من تزوير على الله .. والويل والهلاك مما يكسبون بهذا التزوير والاختلاق!

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (١).

وصدق الله وعده (٢) فهذه سمات يهود التى لاتفارقهم ...لعنة تبدو على سيماهم، إذ تنضح بها جبلتهم الملعونة المطرودة من الهداية، وقسوة تبدو فى ملامحهم الناضبة من بشاشة الرحمة، وفى تصرفاتهم الخالية من المشاعر الإنسانية، ومهما حاولوا ـ مكرا ـ إبداء اللين فى القول عند الخوف وعند المصلحة، والنعومة فى الملمس عند الكيد والوقيعة، فإن جفاف الملامح والسمات ينضح ويشى بجفاف القلوب والأفئدة ..!

وطابعهم الأصيل هو تحريف الكلم عن مواضعه !

---

(١) المائدة: ١٣ .   (٢) المرجع السابق : ٢: ٨٥٩ بتصرف .

تحريف كتابهم أولا عن صورته التى أنزلها الله على موسى عليه السلام، إما بإضافة الكثير إليه مما يتضمن أهدافهم الملتوية ويبرزها بنصوص من الكتاب مزورة على الله! وإما بتفسير النصوص الأصلية الباقية وفق الهوى والهدف الخبيث ! ونسيان وإهمال لأوامر شريعتهم ، وعدم تنفيذها فى حياتهم ومجتمعهم، لأن تنفيذها يكلفهم الاستقامة على منهج الحق الطاهر القويم النظيف العفيف:

﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾

وهو خطاب للرسول ﷺ يصور حال يهود فى المجتمع المسلم فى المدينة، فهم لايكفون عن محاولة خيانة رسول الله ﷺ ، وقد كانت لهم مواقف خيانة متواترة، بل كانت هذه هى حالهم طوال إقامتهم معه فى المدينة، ثم فى الجزيرة كلها، وماتزال هذه حالهم فى المجتمع الإسلامى على مدار التاريخ. على الرغم من أن المجتمع الإسلامى ـ كما سبق ـ هو المجتمع الوحيد الذى آواهم، ورفع عنهم الاضطهاد، وعاملهم بالحسنى، ومكن لهم من الحياة الرغيدة فيه !

ولكنهم كانوا دائما ـ كما كانوا على عهد الرسول ـ عقارب وحيات وثعالب وذئابا، تضمر المكر والخيانة، ولاتنى تمكر وتغدر ! إن أعوزتهم القدرة على التنكيل الظاهر بالمسلمين نصبوا لهم الشباك ، وأقاموا لهم المصائد، وتآمروا مع كل عدو لهم، حتى تحين الفرصة، فينقضوا عليهم، قساة جفاة لا يرحمونهم، ولا يرعون فيهم إلاّ ولاذمة ! أكثرهم كذلك .. كما وصفهم الله سبحانه فى كتابه، وكما أنبأنا عن جبلتهم التى أورثها إياهم نقضهم لميثاق الله من قديم !

﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾

الفعلة الخائنة، والنية الخائنة، والكلمة الخائنة، والنظرة الخائنة .. يجملها النص بحذف الموصوف وإثبات الصفة ..«خائنة» .. لتبقى الخيانة وحدها مجردة، تملأ الجو، وتلقى ظلالها وحدها على القوم .. فهذا هو جوهر جبلتهم، وهذا هو جوهر موقفهم ، مع الرسول ﷺ ومع الجماعة المسلمة !

إن هذا القرآن هو معلم هذه الأمة ومرشدها ورائدها وحادىِ طريقها على طول الطريق .. وهو يكشف لها عن حال أعدائها معها. وعن جبلتهم وعن تاريخهم مع هدى الله كله. ولو ظلت هذه الأمة تستشير قرآنها، وتسمع توجيهاته، وتقيم قواعده وتشريعاته فى حياتها، ما استطاع أعداؤها أن ينالوا منها فى يوم من الأيام ..ولكنها حين نقضت ميثاقها مع ربها، وحين اتخذت القرآن مهجورا ـ وإن كانت ماتزال تتخذ منه ترانيم وتعاويذ، أصابها ما أصابها !

ولقد قص القرآن عليها ما وقع لبنى إسرائيل من اللعن والطرد وقسوة القلب وتحريف الكلم عن مواضعه، حين نقضوا ميثاقهم مع الله، لتحذر أن تنقض هى ميثاقها مع الله، فيصيبها ما يصيب كل ناكث للعهد، ناقض للعقد... فلما غفلت عن هذا التحذير، وسارت فى طريق غير الطريق ، نزع الله منها قيادة البشرية، وتركها ذيلا فى القافلة ! حتى تثوب إلى ربها، وتؤوب إلى رشدها، وحتى تستمسك بعهدها ، لأنها مطالبة بالوفاء بعقدها . فيفى الله لها بوعده من التمكين فى الأرض، ومن القيادة للبشر والشهادة على الناس..

وإلا بقيت هكذا ذيلا للقافلة .. وعد الله لايخلف الله وعده ..

ولقد كان توجيه الله عزوجل لنبيه في ذلك الحين الذى نزلت فيه هذه الآية:

﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾

والعفو عن قبائحهم إحسان ..

والصفح عن خيانتهم إحسان ..

وبعد ذلك جاء الوقت الذى لم يعد فيه للعفو والصفح مكان. فأمر الله نبيه ﷺ أن يجليهم عن المدينة، وأن يأمر بإجلائهم عن الجزيرة كلها ـ كما سيأتى ـ وقد كان ..

ولقد كان أهل الكتاب يستكثرون أن يدعوهم إلى الإسلام نبى ليس منهم .. نبى من الأميين الذين كانوا يتعالون عليهم من قبل ويتعالمون، لأنهم هم أهل الكتاب، وهؤلاء أميون ! فلما أراد الله الكرامة لهؤلاء الأميين بعث منهم خاتم النبيين، وجعل فيهم الرسالة الأخيرة، الشاملة للبشر أجمعين، والرحمة المهداة، والنعمة المسداة للعالمين . ومن ثم كان هذا النداء الإلهى : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(1) .

وفى هذا النداء الإلهى لأهل الكتاب، يسجل عليهم أنهم مدعوّون إلى الإسلام. مدعوّون للإيمان بهذا الرسول ونصره وتأييده، كما أخذ عليهم ميثاقه. ويسجل عليهم

(1) المائدة:١٥ ـ ١٦ .

شهادته سبحانه بأن هذا النبى الأمى هو رسوله إليهم، كما أنه رسول إلى الأميين، وإلى العالمين، فلا مجال لإنكار رسالته من عند الله أولا، ولامجال للادعاء بأن رسالته مقتصرة على العرب، أو ليست موجهة إلى أهل الكتاب ثانيا :

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾

فهو رسول الله إليكم ، ودوره معكم أن يبين لكم ويوضح ويكشف ما تواطأتم على إخفائه من حقائق كتاب الله الذى معكم .. وقد أخفى اليهود كثيرا من أحكام الشريعة، كرجم الزانى ـ كما أسلفنا ـ وتحريم الربا كافة، وخبر بعثة النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم .. كما أنه ﷺ يعفو عن كثير مما أخفوه أو حرفوه، مما لم يرد به شرعه ..

ويبين لهم طبيعة ماجاء به هذا الرسول ، ووظيفته فى الحياة البشرية، وماقدر الله من أثره فى حياة الناس .

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

وليس أدق ولا أصدق ولا أدل على طبيعة هذا الكتاب .. القرآن .. وعلى طبيعة هذا المنهج .. الإسلام .. من أنه « نور » .

إنها حقيقة يجدها المؤمن فى قلبه وفى كيانه وفى حياته وفى رؤيته وتقديره للأشياء والأحداث والأشخاص .. يجدها المؤمن بمجرد أن يجد حقيقة الإيمان فى قلبه .. «نور».. نور تشرق به كينونته فتشف وتخف وترف .. ويشرق به كل شيء أمامه فيتضح ويتكشف ويستقيم.

ثقلة الطين فى كيانه، وظلمة التراب، وكثافة اللحم والدم، وعرامة الشهوة والنزوة .. كل أولئك يشرق ويضيء ويتجلى .. تخف الثقلة، وتشرق الظلمة، وترق الكثافة، وترف العرامة ..

واللبس والغبش فى الرؤية، والتأرجح والتردد فى الخطوة، والحيرة والشرود فى الاتجاه، والطريق البهيم الذى لا معالم فيه .. كل أولئك يشرق ويضيء ويتجلى .. يتضح الهدف، ويستقيم الطريق إليه، وتستقيم النفس على الطريق ..

﴿ **نور وكتاب مبين** ﴾ وصفان للشيء الواحد ..لهذا الذى جاء به الرسول الكريم ..

﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

لقد رضى الله الإسلام دينا .. وهو يهدى من اتبع رضوانه هذا ويرتضيه لنفسه كما رضيه الله .. يهديه « سبل السلام »

وما أدق هذا التعبير وأصدقه، إنه« السلام » هو مايسكبه هذا الدين فى الحياة كلها ... سلام الفرد، وسلام الجماعة، وسلام العالم ..سلام الضمير، وسلام العقل، وسلام الجوارح.. سلام البيت والأسرة، وسلام المجتمع والأمة، وسلام البشر والإنسانية .. السلام مع الحياة والسلام مع الكون، والسلام مع الله رب الكون والحياة .. السلام الذى لاتجده البشرية ـ ولم تجده يوما ـ إلا فى هذا الدين، وإلا فى منهجه ونظامه وشريعته، ومجتمعه الذى يقوم على عقيدته وشريعته.

حقا، إن الله يهدى بهذا الدين الذى رضيه، من يتبع رضوان الله «سبل السلام » سبل السلام كلها فى هذه الجوانب جميعها .. ولايدرك عمق هذه الحقيقة كما يدركها من ذاق سبل الحرب فى الجاهلية القديمة أو الحديثة .. ولايدرك عمق هذه الحقيقة كما يدركها من ذاق حرب القلق الناشئ من عقائد الجاهلية فى أعماق الضمير، وحرب القلق الناشىء من شرائع الجاهلية وأنظمتها وتخبطها فى أوضاع الحياة .

وقد كان المخاطبون بهذه الكلمات أول مرة يعرفون من تجربتهم فى الجاهلية معنى هذا السلام، إذ كانوا يذوقونه مذاقا شخصيا ، ويلتذون هذا المذاق المريح..

وما أحوجنا نحن الآن أن ندرك هذه الحقيقة، والجاهلية من حولنا ومن بيننا تذيق البشرية الويلات .. من كل ألوان الحرب فى الضمائر والمجتمعات قرونا بعد قرون !

ما أحوجنا نحن الذين عشنا فى هذا السلام فترة من تاريخنا ، ثم خرجنا من السلام إلى الحرب التى تحطم أرواحنا وقلوبنا، وتحطم أخلاقنا وسلوكنا، وتحطم مجتمعاتنا وشعوبنا.. بينما تملك الدخول فى السلم التى منحها الله لنا، حين نتبع رضوانه ونرضى لأنفسنا مارضيه الله لنا !

إننا نعانى من ويلات الجاهلية، والإسلام منا قريب، ونعانى من حرب الجاهلية وسلام الإسلام فى متناول أيدينا لو نشاء .. فأية صفقة خاسرة هذه التى نستبدل فيها الذى هو أدنى بالذى هو خير ؟! ونشترى فيها الضلالة بالهدى ؟! ونؤثر فيها الحرب على السلام ؟!

إننا نملك إنقاذ البشرية من ويلات الجاهلية وحربها المشبوبة فى شتى الصور والألوان.. ولكننا لانملك إنقاذ البشرية، قبل أن ننقذ نحن أنفسنا، وقبل أن نفىء إلى ظلال السلام، حين نفىء إلى رضوان الله ونتبع مارتضاه . فنكون من هؤلاء الذين يقول الله عنهم إنه يهديهم سبل السلام ..

﴿ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ ﴾

والجاهلية كلها ظلمات.. ظلمة الشبهات والخرافات والأساطير والتصورات.. وظلمة الشهوات والنزعات والاندفاعات فى التيه .. وظلمة الحيرة والقلق والانقطاع عن الهدى والوحشة من الجناب الآمن المأنوس .. وظلمة اضطراب القيم وتخلخل الأحكام والقيم والموازين..

والنور هو النور.. هو ذلك النور الذى تحدثنا عنه آنفا فى الضمير وفى العقل وفى الكيان وفى الحياة وفى كل الأمور ..

﴿ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمًا ﴾

مستقيم مع فطرة النفس ونواميسها التى تحكمها .. مستقيم مع فطرة الكون ونواميسه التى تصرفه .. مستقيم إلى الله لايلتوى ولا تلتبس فيه الحقائق والاتجاهات والغايات ..

إن الله الذى خلق الإنسان وفطرته، وخلق الكون ونواميسه، هو الذى وضع للإنسان هذا المنهج، وهو الذى رضى للمؤمنين هذا الدين . فطبيعى أن يهديهم هذا المنهج إلى الصراط المستقيم .. حيث لايهديهم منهج غيره من صنع البشر العاجزين الجهال الفانين !

وصدق الله العظيم. الغنى عن العالمين. الذى لاينالـه من هداهم أو ضلالهم شىء، ولكنه بهم رحيم !

ذلك هو الصراط المستقيم. فأما اليهود فهم اليهود، نقضوا ميثاقهم مع الله، وغيروا وبدلوا فى التوراة ـ كما أسلفنا ـ ووقفوا من خاتم الأنبياء ﷺ موقفا لئيما ماكرا عنيدا، وخانوه وخانوا مواثيقهم معه ، فباءوا بالطرد من هدى الله، وقست قلوبهم فلم تعد صالحة لاستقبال هذا الهدى .

يقول الأستاذ أحمد عطار: [1] وعندما نزل القرآن الكريم مشيرا إلى ماأصاب التوراة

---

(١) اليهودية والصهيونية: ٨٨ بتصرف .

من عبث، تصدى له من كفروا برسالة محمد عليه صلوات الله وسلامه، ومايزال من أهل الكتاب من يفترون على القرآن لأنه ذكر كتبهم بما يتفق مع حقائق العلم والتاريخ التى أثبتها علماء منهم .. وتلك من معجزات كتاب الله ..

وأشار أكبر الباحثين فى كتب العهد القديم والعهد الجديد إلى مايؤيد القرآن كل التأييد، فقد أبان هؤلاء الباحثون فى العصور الأخيرة ـ بخاصة ـ أساليب أسفارهما ولغاتهما وبلدانياتهما وكل مايتصل بهما من قريب أو بعيد، وما فيهما من نظريات كونية، وحوادث تاريخية، ومعاملات وأحكام، وعقائد وتشريعات مختلفة، وما فيهما من تناقض أوضحه بعضهم، وأوله آخرون احترما لقدسيتهما، ووصفوا بيئاتهما وحياة الشعوب الاجتماعية والدينية والتجارية والسياسية والتاريخية والجغرافية .

وبحوث الباحثين الذين تحروا فيها الدقة والاستيعاب، كشفت لهم عن حقائق تلتقى مع القرآن فيما وصف به تلك الكتب .. وذلك فى أواخر القرن التاسع عشر وهذا القرن قبل هذه التواريخ .

وهذه الدراسات والبحوث التى هى ثمرة تطور العقل والعلم وتقدم وسائلهما تراث تسلمه ورثة عن ورثة، حتى انتهى إلى العصور الأخيرة، فأضافت إليه ما أرباه، وهو ما لا يتفق لفرد أن يحيط به مهما كانت عبقريته .

فمحمد رسول الله حقًا وخاتم النبيين صدقا، ومع هذه المكانة لايعلم الغيب، لأن ذلك من علم الله وحده، فكيف تسنى له أن يعلم علم الأولين والآخرين، علوم الماضى وأحداثه ، تضاف إليها أحداث المستقبل وكشوفه التى تؤيد ماجاء فى القرآن ؟

إن كان كل هذا من عبقريته فهو أعظم من هؤلاء أجمعين، وبذلك يتم له الامتياز على البشر جميعا، وفيه من صفات الله ما لايدعيه هو نفسه، بل ينفيه كما ينفيه المؤمنون على مر الأيام، تلك هى صفة علم الغيب، فما أدراه أن كشوفا ستتم بعد أيامه بعصور مديدة ستؤيد ما أجمله القرآن ويشير إليه فى إيجاز واضح مبين ؟

إنهم لم يرضوا له أن يكون رسولا نبيا، ولكنهم من الجهة الأخرى وصفوه بما هو خاص بالذات الإلهية من الصفات مما لايرضاه هو نفسه .

إن الله وحده علام الغيوب ، فما فى كتابه من ذكر وإشارت لما تؤيده الكشوف إن هو إلا علم علام الغيوب وحده، أوحى به إلى محمد رسوله فأداه كما تلقاه، وبقى

محفوظا بنصه لا مبدل لكلماته .

والباحثون من غير المسلمين انتهوا بعد دراسات إلى أن فى التوراة تحريفا، وإلى أن مايسمى هذا الاسم ليس إلا من تأليف بشر ، والأسفار الخمسة والأسفار الأخرى التى يتم بها العهد القديم تتفاوت أسلوبا وأفكارا ومعلومات، مما يقتضى تعدد الكتاب والمنشئين، وإن المؤرخ اليهودى الشهير« سيمون دبنوف » أعظم المؤرخين اليهود المحدثين يذكر فى ثقة: أن فى الكتاب المقدس فصولا كثيرة مأخوذة من الثقافة البابلية، كما يظهر من المقارنة بين الكتابة المسمارية وما ورد فى التوراة .

ويثبت التحريف مافى هذه الأسفار من نصوص لا تتفق مع التنزيل ، ولامع التوحيد وعصمة الرسل ونزاهة الأنبياء ـ وصفات الله وأسمائه ـ كما سيأتى وفيه من التناقض مايعترف به غلاة من يؤمنون بالتوراة، وهناك اختلاف بين نسخ التوراة المعتمدة ، ففى كتاب« ميزان الحق » « للدكتور فندر » وهو من أشد المدافعين عن التوراة والإنجيل ـ قوله:[1] « كتب بعض المصنفين المسلمين جدولا طويلا من المتناقضات الواردة فى الكتاب المقدس، وزعم أنها متناقضات حقيقية، وهى متناقضات ظاهرية فقط» وقال: « وقد وفق بين كثير منها العلماء المحققون، والتى لم يهتدوا إلى التوفيق بينها فصعوبتها قائمة على عدم معرفة كل ظروفها ».

ويقول: « يوجد فى التوراة مايشبه التناقض فى أخبار الوقائع والمسائل التى لامساس لها بالجوهر، وهو فى الحقيقة ليس بتناقض، فوجود شىء من هذا القبيل فى أسفار التوراة مع سكوت اليهود عنه وعدم تجاسرهم على تسويته لدليل قوى على تمسكهم بالمتون الأصلية» .

والتناقض الذى وقع فيه هذا القسيس الدكتور نفسه واضح من عباراته، فهو يعترف أنها «متناقضات ظاهرية فقط»، ومع ذلك يعترف بأن العلماء المحققين لم يهتدوا إلى التوفيق بينها، للصعوبة القائمة على عدم معرفة ظروفها، وينفى التناقض بقوله « وهو بالحقيقة ليس بتناقض » ثم يثبت أن وجود شىء من التناقض دليل على أمانة اليهود، لأنهم لم يجسروا على تسويته .

ويقول [2] : « لايوجد فرق إلا فى أعمار بعض الآباء الأولين المذكورين فى إصحاح: ٥، ١٠ من سفر التكوين » ويعتذر بأنه خلاف لايمس جوهر الكتاب فى شىء .

---

(١) ميزان الحق: ١٠٢ .   (١) المرجع السابق: ١١٨ .

ولكن هذا الفرق فى الأعمار بين نسخ التوراة ينسب إلى الله الغلط الذى تنزه عنه، فالنسخة العبرية تذكر أن مقدار الزمان من خلق آدام إلى الطوفان ١٦٥٦ سنة، والنسخة اليونانية المعروفة بالسبعينية تذكر أنه ٢٢٦٢ سنة، والنسخة السامرية تقول: إنه ١٣٠٧ سنة، فأيها الحق المنزل من الله ؟!

وهذا الاختلاف يلد اختلافا سواه، فالنسخ الثلاث متفقات على أن عمر آدم ٩٣٠ سنة، وعمر نوح عند الطوفان ٦٠٠ سنة، فعلى مافى النسخة السامرية يكون نوح مولودا فى زمن آدم، وأن كليهما أدرك من عمر الآخر ٢٢٣ سنة، وهو غير واقع باتفاق جميع مؤرخى العالم، وما فى العبرية واليونانية ينقض هذا الزعم، وفى العبرية: أن آدم مات قبل نوح بمائة وست وعشرين سنة، واليونانية: أن موت آدم كان قبل ولادة نوح باثنتين وثلاثين وسبعمائة سنة.

ومن ألوان الاختلاف بين النسخ فى مسألة الأعمار مايعد من الإفك، ففى الإصحاح الثانى والعشرين من سفر أخبار الأيام الثانى أن « يهورام » تولى الملك وعمره اثنتان وثلاثون سنة، وملك ثمان سنين، ومات غير مأسوف عليه، وفى الإصحاح الذى يليه : أن ابنه الأصغر « أخزيا » ملك بعده، وكان عمره اثنتين وأربعين سنة !

فكيف يصح فى الأذهان أن الابن أكبر من أبيه بسنتين ؟ أيصح أن ينسب هذا إلى الله العليم الخبير فى كتاب يدعى هؤلاء أنه منه سبحانه وتعالى ؟!

وجاء فى سفر التثنية بخصوص وفاة موسى عليه السلام نص يقول: « فمات موسى عبد الرب فى أرض مؤاب ، ولا يعرف شخص قبره حتى يومنا هذا » . (١)

ومن الواضح أن مثل هذا الكلام مكتوب بعد وفاة موسى عليه السلام .

ويتحدث الدكتور على عبد الواحد وافى عن الأزمنة التى كتبت فيها الأسفار المنسوبة إلى موسى عليه السلام فيقول : (٢)

« هذا ، وأهم أسفار العهد القديم هى أسفار ـ التكوين ـ والخروج ـ والتثنية ـ واللاويين ـ والعدد ـ التى ينسبها اليهود إلى موسى عليه السلام، ويعتقدون أنها بوحى من الله ، وأنها تتضمن التوراة، ولكن ظهر للمحدثين من الباحثين من ملاحظة اللغات

---

(١) بنو إسرائيل فى القرآن والسنة: ١: ٨٧ بتصرف .

(٢) الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام: ١٦ بتصرف، ط . نهضة مصر .

والأساليب التى كتبت بها هذه الأسفار، وما تشتمل عليه من موضوعات وأحكام وتشاريع، والبيئات الاجتماعية والسياسية التى تنعكس فيها، ظهر لهم من ملاحظة هذا كله أنها قد ألفت فى عصور لاحقه لعصر موسى بأمد غير قصير، وعصر موسى يقع على الأرجح حوالى القرن الرابع عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد،وأن معظم سفرى التكوين والخروج قد ألفا حوالى القرن التاسع قبل الميلاد، وأن سفر التثنية قد ألف فى أواخر القرن السابع قبل الميلاد، وأن سفرى العدد واللاويين قد ألفا فى القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد .. وأنها جميعا مكتوبة بأقلام اليهود، وتتمثل فى هذه الأسفار عقائد وشرائع مختلفة تعكس الأفكار والنظم المتعددة التى كانت سائدة لديهم فى مختلف أدوار تاريخهم الطويل ... فهى إذن تختلف كل الاختلاف عن التوراة التى يذكر القرآن أنها كتاب سماوى مقدس أنزله الله تعالى على موسى عليه السلام » .

ويتحدث صاحب قصة الحضارة عما يشيع فى الأسفار من عبارات غرامية عجيبة فيقول: « وفى هذه الكتابات الغرامية العجيبة مجال واسع للحدس والتخمين، فقد تكون مجموعة من الأغانى البابلية الأصل .. وقد تكون من وضع جماعة من شعراء الغزل العبرانيين، ومهما يكن أصلها فإن وجودها فى التوراة سر خفى .. ولسنا ندرى كيف غفل أو تغافل رجال الدين عما فى هذه الأغانى من عواطف شهوانية، فأجازوا وضعها بين أقوال « أشعياء » و«أرمياء » ؟! [1]

وبهذا يتبين أن التوراة الحالية ـ فى مجموعها ـ قد كتبت بعد موسى عليه السلام بأزمان متقاربة، وبأفكار مختلفة، وأن اليهود كتبوها انعكاسا لأخلاقهم ، وتاريخهم وآمالهم وآلامهم .. ولكثرة الأشخاص الذين اشتركوا فى كتابتها ، امتلأت بالأخطاء والمفتريات والمتناقضات، والتحريف والتخريف !

ورحم الله الشيخ « رحمة الله الهندى » فقد تناول فى الكلام عن أسفار العهدين: العتيق والجديد .. كل باب من أبوابهما ، واستشهد من كلام مؤرخيهم وعلمائهم على تبيان المطعون فيه من الأبواب والآيات، وبين بالحجج الدامغة أنه لايوجد لدى علمائهم سند متصل لأى كتاب من كتب العهدين ، ثم تناول بعد ذلك مافى الكتابين من الاختلاف والأغلاط .. ثم عقد بابا خاصا لإثبات التحريف فى كتب العهدين .. مصداقا لقوله تعالى:

---

(١) قصة الحضارة: ٣: ٣٨٨ : ديورانت : ترجمة محمد بدران .

﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ (١).

وأثبت أن بعض هذا التحريف كان عن عمد، وكان يأتى التحريف أحيانا بالزيادة، وأحيانا بالنقصان، وأحيانا بالتبديل اللفظى، وساق على التحريف بالزيادة خمسة وأربعين شاهدا ، كما ساق على التبديل اللفظى خمسة وثلاثين شاهدا، أما التحريف بالنقص فقد ساق عليه عشرين شاهدا .. مما يدل على سعة اطلاع، وتتبع حريص لإقامة الحجة عليهم من كتبهم ! (٢)

حقا .. إنه تحريف وتخريف !

(١) النساء: ٤٦ ، المائدة: ١٣ .

(٢) مقدمة: إظهار الحق : عمر الدسوقى .

الفصل الثالث

الأسفار وأنبياء بنى إسرائيل

إسحاق ويعقوب ـ لوط وبنتاه ـ آل يعقوب ـ موسى وهارون ـ داود وآله ـ سليمان وأمه ـ أخلاق يهود.



إسحاق ويعقوب :

والحديث عن القبائح التى نسبها اليهود زورا إلى أنبياء بنى إسرائيل يدل دلالة واضحة على أنهم ليسوا بأهل لأن يكونوا كذلك، إذا اعتمدنا أسفارهم المقدسة عندهم، لأنهم نسبوا إليهم افتراء ماينقض الرسالة والنبوة، وزعموا أن بعضهم قد بلغ من الانحطاط الخلقى ما لا يرضى به فاسدو الخلق ملوثو الضمير من البشر، إلا من انحدروا إلى البهيمية السافلة !

وحتى لايطول بنا الحديث، نبدأ بسفر التكوين فى الإصحاح السابع والعشرين، فيما يتعلق بإسحاق عليه السلام وفيه مانصه :

« لما شاخ إسحاق ، وكلّت عيناه عن النظر، أنه دعا عيسو ابنه الأكبر وقال له : يا ابنى ، فقال له: ها أنذا . فقال : إننى شخت ، ولست أعرف يوم وفاتى ، فالآن خذ عدّتك : جعبتك وقوسك واخرج البرية، وتصيد لى صيدا ، واصنع لى أطعمة كما أحب ، وائتنى بها لآكل حتى تباركك نفسى قبل أن أموت .

وكانت رفقة سامعة إذ تكلم إسحاق مع عيسو ابنه، فذهب عيسو إلى البرية يصطاد صيدا ليأتى به .

وأما رفقة فكلمت ابنها يعقوب قائلة: إنى قد سمعت أباك يكلم أخاك عيسو قائلا: ائتنى بصيد واصنع لى أطعمة لآكل وأباركك أمام الرب قبل وفاتى . فالآن يا ابنى اسمع لقولى فيما أنا آمرك به، اذهب إلى الغنم، وخذ لى من هناك جديين جيدين من المعزى، فاصنعهما أطعمه لأبيك كما يحب، فتحضرهما إلى أبيك ليأكل حتى يباركك قبل وفاته .

فقال يعقوب لرفقة أمه : هو ذا عيسو أخى رجل أشعر وأنا رجل أملس، ربما يجسنى أبى فأكون فى عينيه كمتهاون، وأجلب على نفسى لعنة لابركة .

فقالت له أمه: لعنتك على يا ابنى، اسمع لقولى فقط، واذهب خذ لى، فذهب وأخذ وأحضر لأمه، فصنعت أمه أطعمة كما كان أبوه يحب ، وأخذت رفقة ثياب عيسو ابنها الأكبر الفاخرة التى كانت عندها فى البيت، وألبست يعقوب ابنها الأصغر، وألبست يديه وملاسة عنقه جلود جديى المعزى، وأعطت الأطعمة والخبز الذى صنعت فى يد يعقوب ابنها .

فدخل إلى أبيه وقال: باأبى، فقال: ها أنذا، من أنت ياابنى ؟ فقال يعقوب لأبيه: أنا

عيسو بكرك، قد فعلت كما علمتنى، قم، اجلس وكل من صيدى لكى تباركنى نفسك .

فقال إسحاق لابنه: ماهذا الذى أسرعت لتجد يا ابنى؟ فقال: إن الرب إلهك قد يسر لى ، فقال إسحاق ليعقوب: تقدم لأجسك يابنى، أأنت هو ابنى عيسو أم لا ؟

فتقدم يعقوب إلى إسحاق أبيه، فجسه وقال: الصوت صوت يعقوب، ولكن اليدين يدا عيسو، ولم يعرفه، لأن يديه كانتا مشعرتين كيدى عيسو أخيه، فباركه، وقال: هل أنت هو ابنى عيسو؟ فقال : أنا هو ؟ فقال : قدم لى لآكل من صيد ابنى حتى تباركك نفسى ، فقدم له فأكل، وأحضر له خمرا فشرب، فقال له إسحاق أبوه: تقدم وقبلنى يابنى، فتقدم ، وقبله فشم رائحة ثيابه وباركه، وقال : انظر رائحة ابنى كرائحة حقل قد باركه الرب، فليعطك الله من ندى السماء، ومن دسم الأرض، وكثرة حنطة وخمر، ليستعبد لك شعوب، وتسجد لك قبائل، كن سيدا لإخوتك، وليسجد لك بنو أمك ، ليكن لاعنوك ملعونين، ومباركوك مباركين.

وحدث عندما فرغ إسحاق من بركة يعقوب، ويعقوب قد خرج من لدن إسحاق أبيه أن عيسو أخاه أتى من صيده، فصنع هو أيضا أطعمة ودخل بها إلى أبيه، وقال لأبيه : ليقم أبى ويأكل من صيد ابنه، حتى تباركنى نفسك، فقال له إسحاق أبوه: من أنت ؟ فقال أنا ابنك بكرك عيسو .

فارتعد إسحاق ارتعادا عظيما جدا، وقال : فمن هو هذا الذى اصطاد صيدا وأتى به إلىّ فأكلت من الكل قبل أن تجيء وباركته، نعم، ويكون مباركا .

فعندما سمع عيسو كلام أبيه صرخ صرخة عظيمة ومرة جدا ، وقال لأبيه: باركنى أنا أيضا يا أبى ، فقال: قد جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك ، فقال : ألا إن اسمه دعى يعقوب، فقد تعقبنى الآن مرتين : أخذ بكوريتى ، وهو ذا الآن قد أخذ بركتى ، ثم قال: أما أبقيت لى بركة ؟!

فأجاب إسحاق وقال لعيسو: إنى قد جعلته سيدا لك، ودفعت إليه جميع إخوته عبيدا، وعضدته بحنطة وخمر، فماذا أصنع إليك يا ابنى ؟ فقال عيسو لأبيه: ألك بركة واحدة فقط يا أبى ، باركنى أنا أيضا يا أبى ، ورفع عيسو صوته وبكى .

فأجاب إسحاق ابنه وقال له: هوذا بلا دسم الأرض يكون مسكنك، وبلا ندى السماء من فوق، وبسيفك تعيش، ولأخيك تستعبد، ولكن يكون حينما تجمح تكسر نيره عن عنقك.

فحقد عيسو على يعقوب من أجل البركة التى باركه بها أبوه، وقال عيسو فى قلبه: قربت أيام مناحة أبى ، وأقتل يعقوب أخى .

فأخبرت رفقة بكلام عيسو ابنها الأكبر، فأرسلت ودعت يعقوب ابنها الأصغر، وقالت له: هو ذا عيسو أخوك متسل من جهتك بأنه يقتلك، فالآن يا ابنى، اسمع لقولى ، وقم اهرب إلى أخى لابان إلى حاران، وأقم عنده أياما قليلة، حتى يرتد سخط أخيك ، حتى يرتد غضب أخيك عنك، وينسى ماصنعت به، ثم أرسل فآخذك من هناك».

ويمضى سفر التكوين فى إصحاحاته الأخرى ساردا قصة يعقوب الذى يمضى إلى حاران، وينزل لدى خاله لابان ـ كما يقول الأستاذ أحمد عطار [(١)] ـ ويتفق على خدمة سبع سنين، على أن يعطيه ابنته الصغرى راحيل، وانتهت المدة، وأقيم حفل الزفاف، ودخل يعقوب على زوجه، وفى الصباح اكتشف أنها ليست راحيل ، وإنما هى ليئة ابنته الكبرى، فعاتب يعقوب خاله، وهذا نص سفر التكوين:

« لماذا خدعتنى ؟ فقال لابان : لايفعل هكذا فى مكاننا أن نعطى الصغيرة قبل البكر » [(٢)]

واتفق يعقوب مع خاله أن يعطه راحيل بعد أسبوع، على أن يخدم لديه سبع سنين أخرى، وأخذ راحيل، لكن ليئة هى التى ولدت له، ولم تلد له راحيل إلا بآخرة .

وقصة إسحاق مع ابنيه كما تذكرها التوراة غريبة من الغرائب، هذه التوراة التى يعتقد أهل الكتاب أنها وحى من الله !

وفى القصة مجال لأسئلة كثيرة ، ليست هى وأجوبتها فى صالحهم بحال من الأحوال :

أولا: إن يعقوب ـ وهو نبى ـ خدع أباه وخانه، بل خدع إلهه، وانتزع البركة والنبوة انتزاعا من أبيه بدون رضا منه .

وهنا يبدو سؤال لابد منه: أترى يعقوب النبى يكون أمينا على الوحى، إذا لم يكن على هواه، بعد خيانته أباه وخداعه ربه ؟

---

(١) اليهودية والصهيونية: ٥٥ وما بعدها بتصرف .

(٢) سفر التكوين: الإصحاح: ٢٩ : ٢٦ .

ثانيا: إن هذه الجريمة التى تقوم على خيانة الأب وخداع الرب، تجعل يعقوب غير أهل للاضطلاع بعبء النبوة والرسالة، لأن من لايؤمن فى أمور الوحى والرسالة والنبوة لايمكن أن يكون أهلا للنبوة.

إن مجرد الخيانة والكذب والخديعة لايسمح لمن يتصف بها أن يكون نبيا، فإذا كان الكذب والخداع والخيانة متصلة بالنبوة نفسها، فإن من يتصف بها لن يكون أهلا للنبوة ألبتة، ومع فقدان الأهلية يكون مستوجبا لنقمة الله وغضبه، وموضع سخطه ولعنه.

ثالثا : أيملك المخلوق ـ ولو كان رسولا نبيا ـ أن يهب النبوة والرسالة أحدًا من الناس ؟!

إن النبوة والرسالة لايملكها غير الله الخالق وحده، لايملكها إسحاق ولاأعظم من إسحاق!

رابعا: يمكن للرسول أن يدعو الله بأن يجعل رسالته فى أحد من خلقه، كما دعا إبراهيم عليه السلام :

﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(1).

ونفرض أن إسحاق خص ابنه عيسو بحبه ورضاه، وأراد له الخير، وعزم أن يدعو الله أن يهب النبوة له، فيتنكر يعقوب فى زى عيسو ويأتيه، فيدعو الله أن يهب له النبوة، وهو يدعو من ضميره لعيسو لا ليعقوب .

وإذا جازت خديعة رفقة وابنها يعقوب على إسحاق لشيخوخته وكلال بصره، فلم يميز بين عيسو الذى يريد أن يخصه بدعوته وبين يعقوب الذى تظاهر بين يديه بأنه عيسو ، أفتجوز الحيلة والخديعة والمكر على الله؟!

إن إسحاق شعر أن وراء الأمر ما وراءه ، وساوره الشك فسأل:« أأنت هو ابنى عيسو أم لا » ؟

فأجابه: « أنا هو » فكان الدعاء لعيسو لا ليعقوب، ولكن إله إسحاق يتبعه فى هذا فتنصرف النبوة من عيسو إلى يعقوب !

---

(1) البقرة: ١٢٩ .

وكيف يرضى إسحاق بمكر يعقوب ؟ وإذا رضى إسحاق أو تغاضى عن مكر يعقوب ، أفيكون الله فى يد الخادعين الكاذبين ، يجعل رضاه تبعا لرضا الكاذبين والمخدوعين ؟!

تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، ومعاذ الله أن يختار لأشرف رسالة من يطلبها كذبا ومينا وخيانة !

وتعالى الله علوا كبيرا أن تجوز عليه حيل المبطلين الفاسقين، وهو العليم بخائنة الأنفس وما تخفى الصدور، فضلا عن ظواهر الأعمال والأقوال !

وإن يعقوب عليه السلام معصوم ومنزه عن مثل هذه الأعمال الباطلة، ولن يكون كما وصفته التوراة من القبائح والمنكرات، لأنه نبى صادق ...ورسول حق .

والإسلام يبرىء إسحاق ويعقوب من كل ماقذفا به، وهذا هو القرآن الكريم يصفهما بقوله: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ۝ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ (١) .

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ۝ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾ (٢) .

﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ۝ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ۝ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾ (٣) .

ومع هذا فإن الأسفار عند هؤلاء تجعل بيئة الرسل والأنبياء بيئة غش وكذب وفجور وسرقة! فخال يعقوب غشاش، وعده براحيل ثم أدخل عليه ليئة! وابنة يعقوب تزنى ! وراحيل تسرق أصنام أبيها !

وها هو سفر التكوين يقول بالنص:

« وخرجت دينة ابنة ليئة التى ولدتها من يعقوب لتنظر بنات الأرض، فرآها شكيم بن حمور الحِوِّى، رئيس الأرض، وأخذها واضطجع معها وأذلها » ! (٤)

---

(١) مريم: ٤٩ ـ ٥٠ (٢) الأنبياء : ٧٢ ـ ٧٣ .

(٣) ص : ٤٥ ـ ٤٧ . (٤) سفر التكوين: ٣٤: ١ ـ ٢ .

ويقول:

« فسرقت راحيل أصنام أبيها، وخدع يعقوب قلب لابان » ! [1] .

لوط وبنتاه:

ولوط عليه السلام مقذوف من التوراة بقذيفة ماحقة، تمحقه هو وأسرته، ولا ترحمه، فتزعم التوراة أنه زنا بابنتيه، وهذه رواية سفر التكوين بالإصحاح التاسع عشر:

« وصعد لوط من صوغر، وسكن في الجبل وابنتاه معه، لأنه خاف أن يسكن صوغر، فسكن في المغارة هو وابنتاه، وقالت البكر للصغيرة : أبونا قد شاخ، وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل أهل الأرض، هلم نسقى أبانا خمرا ونضطجع معه، فنحيي من أبينا نسلا، فسقتا أباهما خمرا في تلك الليلة، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها، وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة: إنني قد اضطجعت البارحة مع أبي، نسقيه الليلة أيضا، فادخلي أنت واضطجعي معه، فنحيي من أبينا نسلا، فسقيا أباهما خمرا في تلك الليلة أيضا، وقامت الصغيرة واضطجعت معه، ولم يعلم باضطجاعها ولابقيامها، فحملت ابنتا لوط من أبيهما، فولدت البكر ابنا ودعت اسمه موآب، وهو أبو الموآبيين إلى اليوم ، والصغيرة أيضا وضعت ابنا ودعت اسمه بِنْ عَمِّي ، وهو أبو بني عمون إلى اليوم » !

ويعجز الخيال الشاخص ذاته عن تصوير هذه الجريمة البشعة من الجرائم المنكرة !

وإذا كانت بنات الأنبياء يقعن في هذا الضرب الفاحش المقيت من الزنا الشاذ العفن ، فإن وقوع غيرهن في الخطيئة العادية أمر لا غبار عليه، لأن لهن أسوة ببنات الأنبياء .

وإذا أخطأت امرأة من بنات الشعب فعذرها قائم، ولاعقوبة عليها، لأن بنتي لوط لم تعاقبا من الله ، ولا من الناس، بل أكرمهما الله بذرية كان منها أنبياء، بل وصل التكريم إلى حد أن يكون من سلالتهما من أصبح في زعمهم إلها ـ كما سيأتي ـ وهذا الإكرام مناقض نفسه، لأن الله ـ كما يزعمون ـ حرم وجود أهله من الموآبيين والعمونيين، فكيف يجتمع هذان النقيضان في وقت واحد ؟!

وما في الدنيا اجتراء على الحق والفضيلة مثل اجتراء بنتي لوط ـ كما يزعمون ـ فقد رأتا ماحلّ بقومهما بسبب جريمة خلقية منتشرة في بلدهما، فقد أبادها الله وأهلها وجعل

---

(١) المرجع السابق: ٣١ : ١٩ ـ ٢٠ .

عاليها سالفها، وأمطر عليها حجارة من سجيل منضود، ومع كل هذا يقترفا أبشع جرم وأقذره، إذا يزنيان مع أبيهما! لوط عليه السلام!

أى شيطانة فى الدنيا ترى انتقام الله الشديد ثم ترتكب ماهو أبشع مما جلب انتقام الله؟ ولكن بنتى لوط تريان عذاب الله يحل ببلدهما ثم ترتكبان شرا من تلك الجريمة، ومع من؟ مع نبى بار كريم، وأب بار رحيم!

ومع تلك الجريمة البشعة المزعرمة، نجد بنى موآب وبنى عمون قريبين من الله الذى أمر موسى كما يذكر سفر التثنية بقوله:

« لاتعاد موآب، ولاتثر عليهم حربا، لأنى لاأعطيك من أرضهم ميراثا، لأن لبنى لوط قد أعطيت عاد ميراثا.

أنت اليوم مارٌّ بتخم موآب بعاد، فمتى قربت إلى اتجاه بنى عمون لاتعادهم، ولاتهجموا عليهم، لأنى أعطيك من أرض عمون ميراثا، لأن لبنى لوط قد أعطيتها ميراثا».

وهذا الأمر الصادر إلى موسى، أمر عجيب يثير الدهشة، فبنو موآب وبنو عمون، أى بنو لوط لايصابون بأى أذى، بل لايصاب موآب وعمون« بَنْ عَمَىٌّ » بأى سوء، مع أنهما ولدا زنا من محرم فى أعلى طبقة وأجل مرتبة بين المحارم طرا!

أيرى الكتاب المقدس لدى اليهود والنصارى زنا المحارم لاغبار عليه؟!

وإذا تركنا هذا وجدنا بشاعات تتناسل من البشاعة الأولى، بشاعة زنا لوط بابنتيه، فموآب وعمون المولودين من بنتى لوط من أبيهما ينسلان ذرية، وفى عمود نسب المسيح نجد « عوبيد » جد داود مولودا ـ كما يقولون ـ من « راعوث » الموآبية، ونجد « رحبعام » ابن سليمان مولودا من « نعمة » العمونية، ووالدا سليمان من الخاطئين، لأن داود أباه زنا بأمه المسماة« بتشبع » وكلهم كما يروى إنجيل متى فى إصحاحه الأول فى عمود نسب المسيح!

وراعوث جدة داود وسليمان وعيسى، وداود ابن الله البكر، وسليمان ابن الله وعيسى ابن الله الوحيد، بل الله الابن على زعمهم، وابن « نعمة » العمونية من أولاد عمون، والدة « رحبعام » بن سليمان الذى هو من أجداد عيسى!

وإن هذا الشرف العظيم الأسمى الذى كان من نصيب موآب وعمون ابنى الزنا ـ أقذر زنا على الإطلاق فى وجه الأرض ـ شرف دونه كل شرف فى العالم، فبعض بنات موآب صارت جدة أبناء الله، وبخاصة الله الذى هو يسوع ـ كما يزعمون ـ وبعض بنات عمون جدة ابن الله الوحيد، بل جدة « الله » الإبن !

وكيف يقبل بنو إسرائيل هذا، مع أن التوراة التى بين أيديهم تقول فى سفر التثنية بالإصحاح الثالث والعشرين فى فاتحته مانصه:

« لايدخل مخصى أو مجبوب فى جماعة الرب، لايدخل ابن زنا فى جماعة الرب، حتى الجيل العاشر، لايدخل منه أحد فى جماعة الرب، لايدخل عمونى ولا موآبى فى جماعة الرب، حتى الجيل العاشر، لايدخل أحد منهم فى جماعة الرب إلى الأبد» .

أما فى الإسلام فحسبنا أن نقرأ فى القرآن الكريم:

﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [1].

﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [2].

﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ [3].

والرسول فى الإسلام معصوم منزه عن كل مايعيب ويشين، وأما ابنتاه اللتان نجتا معه فلإيمانهما كانت نجاتهما ، ومحال منهما مانسب إليهما ، ومحال أن يرتكبا الفاحشة مع أبيهما رسول الله الأمين، وكل الرسل معصومون منزهون، ومن المستحيل أن يرتكب الزنا رسول .

هذا هو رأى الإسلام، بل هذا هو عقيدة الإسلام، وهذا هو الفارق بين الإسلام وسائر ماعداه، رسل الله يمتازون بالنظافة والطهر والنبل، إذ هم فى أعلى مراتب العصمة فى هذا المقام وتمام الخلق .

---

(١) الأنبياء : ٧٤ ـ ٧٥ . (٢) الأنعام: ٨٦ ـ ٨٧ .

(٣) الصافات : ١٣٣ ـ ١٣٥ .

والعقل نفسه يرد قذيفة الكتاب المقدس لدى بنى إسرائيل .. وإذا كانت بنتاه حريصتين على أبناء يرثون حياته ، فكان فى وسعهما نصح أبيهما، وإذا كانتا أردتا منه نسلا فما أدراهما أنهما يحملان بنسل ذكر ؟!

آل يعقوب :

وآل يعقوب تصورهم التوراة صورة بشعة قذرة، وتذكر أن ابنة يعقوب المسماة «دينة» من زوجته «ليئة» بنت لابان خاله زنت مع شكيم بن حمور الحِوِّى !

وابن يعقوب المسمى« رأوبين » من زوجته « ليئة » وهو أكبر أبنائه زنى بسرية أبيه المسماه « بلهة » وهذه رواية سفر التكوين:

« ثم رحل إسرائيل ونصب خيمته وراء مجدل عدد، وحدث إذ كان إسرائيل ساكنا فى تلك الأرض أن «رأوبين» ذهب واضطجع مع « بلهة » سرية أبيه، وسمع إسرائيل» (١) .

ويهوذا بن يعقوب زان أثيم ! يهوذا ـ هذا ـ يزنى بزوجة ابنه ، واسم هذه الزوجة «ثامار» وها هى ذى قصة الزانيين كما يرويها سفر التكوين بالإصحاح الثامن والثلاثين :

« أُخْبِرت « ثامار » وقيل لها: هو ذا حموك صاعد إلى « تِمنَة » ليجز غنمه، فخلعت عنها ثياب ترملها، وتغطت ببرقع، وتلففت، وجلست فى مدخل « عينايم » التى فى طريق « تِمْنة » .. فنظرها يهوذا وحسبها زانية، لأنها قد غطت وجهها فمال إليها فى الطريق، وقال: هاتى أدخل عليك، لأنه لم يعلم أنها كنته، فقالت: ماذا تعطينى لكى تدخل على ؟! فقال : إنى أرسل جدى معزى من الغنم، فقالت: هل تعطينى رهنا حتى ترسله ؟ فقال: ما الرهن الذى أعطيك ؟ فقالت: خاتمك وعصابتك وعصاك التى فى يدك، فأعطاها ودخل عليها، فحبلت منه، ثم قامت ومضت، وخلعت عنها برقعها، ولبست ثياب ترملها .

فأرسل يهوذا جدى المعزى بيد صاحبه العدلامى ليأخذ الرهن من يد المرأة ، فلم يجدها، فسأل أهل مكانها قائلا: أين الزانية التى كانت فى « عينايم » على الطريق ؟ فقالوا: لم تكن هاهنا زانية. فرجع إلى يهوذا وقال: لم أجدها، وأهل المكان أيضا قالوا: لم تكن هاهنا زانية. فقال يهوذا: لتأخذ لنفسها لئلا نصير إهانة، إنى قد أرسلت هذا الجدى وأنت لم تجدها.

---

(١) سفر التكوين : ٣٥ : ٢١ ـ ٢٢ .

ولما كان ثلاثة أشهر أخبر يهوذا، وقيل له: قد زنت« ثامار » كنتك، وهاهى حبلى من الزنا! فقال يهوذا : أخرجوها لتحرق !

أما هى فلما أخرجت أرسلت إلى حميمها قائلة: من الرجل الذى هذه له أنا حبلى، وقالت: حقق لمن الخاتم والعصابة والعصا هذه ؟!

فتحققها يهوذا وقال: هى أبر منى ،لأنى لم أعطيها لشيلة ابنى فلم يعد يعرفها أيضا.

وفى وقت ولادتها إذا فى بطنها توأمان، وكان فى ولادتها أن أحدهما أخرج يدا فأخذت القابلة وربطت على يده قرمزا قائلة: هذا خرج أولا ولكن حين رد يده إذا أخوه قد خرج،فقالت : لماذا اقتحمت ؟ عليك اقتحام، فدعى اسمه « فارض » وبعد ذلك خرج الذى على يده القرمز، فدعى اسمه « زارَح » .

ولم يعمل يعقوب شيئا، لا لرأوبين الذى زنا« ببلة » ولا ليهوذا الذى زنا « بثامار » بل أطرى يهوذا عند موته !

ويهوذا الزانى يطرى ثامار الزانية ويقول: إنها أبر منى، كأنه هو بار حتى تكون أبر منه، والعجيب أن يكون الزناة بررة!

وقد سبق أن أشرنا إلى أن فى عمود نسب المسيح وداود وسليمان من يسمى «عوبيد» وعوبيد هذا وهو ابن « راعوث » الموآبية وموآب ابن بنت لوط من أبيها بالزنا، وفارض ابن زنا، وهو من أجداد سليمان وداود .

وشمشون الجبار زان أثيم على رواية الكتاب المقدس فى سفر القضاة الذى يقول: «وكان رجل من صُرْعَة من عشيرة الدانيين اسمه« منوح » وامرأته عاقر لم تلد، فتراءى ملاك الرب للمرأة وقال لها : ها أنت عاقر لم تلد ، و لكنك تحبلين وتلدين ابنا .

وإن الصبى يكون نذير الله من البطن، وهو يبدأ يخلص إسرائيل من يد الفلسطينيين .

« وصلى منوح » إلى الرب، وقال : أسألك ياسيدى أن يأتى أيضا إلينا رجل الله الذى أرسلته، ويعلمنا ماذا نعمل للصبى الذى يولد، فسمع الله لصوت « منوح » فجاء ملاك الله أيضا إلى المرأة وهى جالسة فى الحقل، و« منوح » رجلها ليس معها فأسرعت المرأة وركضت وأخبرت رجلها وقالت له : هو ذا قد تراءى لى الرجل الذى جاء إلىّ ذلك اليوم، فقام « منوح » وسار وراء امرأته، وجاء إلى الرجل وقال له: أأنت الرجل الذى تكلم

مع المرأة فقال أنا هـو ، فقال « منـوح » عنـد مجـيء كلامك ماذا يكـون حكـم الصبى ومعاملته؟ فقال ملاك الرب لمنوح :

من كل ماقلت للمرأة فلتحتفظ، الخ .

وملاك الرب فى لهيب المذبح« ومنوح » وامرأته ينظران، حيئنذ عرف « منوح » أنه ملاك الرب .

ولدت المرأة ابنا ودعت اسمه « شمشون » فكبر الصبى ، وباركه الرب، وابتدأ روح الرب يحركه [١] .

ذهب « شمشون » إلى غزة ورأى هنالك امرأة زانية فدخل إليها .. فاضطجع «شمشون » إلى نصف الليل .

وكان بعد ذلك أن أحب امرأة فى وادى سودق اسمها « دليلة » [٢] .

وأسلمته « دليلة » إلى أعدائه فقلعوا عينيه وصار يطحـن فى السجن . فشمشون رسول عندهم ، ومع هذا يزنى !

موسى وهارون :

وموسى عليه السلام لم يسلم من طعنات الكتاب المقدس ، مع أنه موصوف منه بأنه أعظم أنبياء بنى إسرائيل ، فسفر التثنية ــ أحد أسفار التوراة ــ يقول فى وصفه [٣] :

« ولم يقم بعد نبى فى إسرائيل مثل موسى الذى عرف الرب وجها لوجه » .

موسى عليه السلام لم يسلم من اليهود ، فقد طعنوه فى إيمانه ، وجعلوه خائناً ، وهو هو ذا سفر التثنية يقول ما نصه [٤] :

« وكلم الرب موسى فى نفس ذلك اليوم قائلا: اصعد إلى جبل « عباريم » .. ومت فى الجبل الذى تصعد إليه ، وانضم إلى قومك ، كما مات أخوك هارون فى جبل « هور » وضُمّ إلى قومه ، لأنكما ختنتماني في وسط بني إسرائيل . إذ لم تقدسانى فى وسط بنى إسرائيل » .

---

(١) سفر القضاة : ١٣

(٢) سفر الخروج : ٢ .

(٣) سفر التثنية : ٣٤ : ١٠ .

(٤) سفر التثنية : ٣٢ .

بل إن موسى طلب من ربه ألا يكلفه بالرسالة ، ففي سفر الخروج قال [1] :

« استمع أيها السيد ، أرسل بيد من تريد ، فحمى غضب الرب على موسى » .

وفى سفر العدد: [2]

« قال الرب لموسى وهارون: من أجل أنكما لم تؤمنا بى حتى تقدسانى أمام أعين بنى إسرائيل .. إلخ » .

فموسى وهارون خائنان، لايقدسان ربهما، ليس هناك جريمة فى العقيدة الدينية أكبر ولا أفظع من خيانة الرسول لله الذى أرسله، وعدم تقديس الله !

هذا مايقوله أهل الكتاب فى كتابهم المقدس هذا، وكلهم يؤمنون به حق الإيمان، مع أن هذه التهم باطلة كاذبة !

أما مايقول الإسلام فى موسى وهارون عليهما السلام فنقيض مايقول أهل الكتاب وها هو ذا القرآن الكريم :

﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ [3] .

﴿ فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴾ [4] .

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا

فلا شيء مما اتهم به كتاب هؤلاء موسى وهارون عليهما السلام، بل هو الكذب الصراح، فموسى لم يطلب إلى ربه أن يعفيه من الرسالة، ولم يخن موسى وهارون ربهما،

---

(١) سفر الخروج: ٤ : ١٣ ـ ١٤ . (٢) سفر العدد: ٢٠ : ١٢ . (٣) طه: ٢٥ ـ ٣٦ .

(٤) طه: ٨٧ ـ ٩٠ . (٥) مريم : ٥١ ـ ٥٣.

وليس حقا أنهما لم يقدسا الله ..

داود وآله :

وداود عليه السلام قد مرغوا سمعته فى الوحل، واتهموه بأنه ارتكب جريمة الزنا، وقذفوا داود وبنيه ووصفوهم بأحط الصفات وأقذرها !

ولو حدث مانسب إلى داود وبنيه من عامة الناس لاستبشع الناس، فكيف وما يحدث يقع ممن يحملون الرسالة ومن أولادهم ؟!

يزعم الكتاب المقدس لدى هؤلاء أن داود كان على سطح قصره فرأى امرأة جميلة رائعة الحسن تغتسل، وكانت زوجا لأحد المقاتلين، فسأل عنها، فأخبروه، فبعث إليها، وأحضرها إلى قصره، وكانت قد طهرت من حيضها، فزنا بها داود، وحملت منه سفاحا، ولما ظهر حملها خافت الفضيحة، فأعلمت داود ليتلافاها !

ولم تعى داود الحيلة فبعث إلى زوجها وأحضره، وبعد سؤال وجواب. صرفه ليمضى إلى زوجه ويبيت لديها، ويحضر إليه فى الصباح ، ولكن الزوج لم يمض، بل قضى ليلة مع خدم دواد، فلما علم داود بما صنع الزوج، احتال حيلة أخرى، فقد دعاه إلى طعام، وأسكره حتى المساء، ثم صرفه رجاء أن يمضى إلى منزله ويبيت مع زوجه، حتى ينسب إليه الحمل، وتستر الفضيحة

ولكن الزوج أصر على موقفه ، ولم يمض إلى زوجه.

ولم يعجز داود عن الحيلة، فبعث رسالة إلى قائد قوأته المحاربة، وأمره فيها أن يجعل الزوج، واسمه « أوريا الحثى » فى وجه الحرب، حتى إذا تقدم رجع عنه الجيش، ليضرب ويموت، وحدث ماأمر به داود فقد قتل « أوريا» وخلا له الجو، واستولى على امرأته، وضمها إلى نسائه، وولدت له من ذلك السفاح ولدا أحبه حبا عظيما، ولكن الله انتقم من داود بموت ثمرة زناه، وأوعده بأنه يجعل أحد أبنائه يزنى بنسائه على مرأى من بنى إسرائيل، ونفذ الله وعيده، فزنا« أبشالوم » بن داود بنساء أبيه واحدة بعد واحدة أمام عيون الشعب !

هـذا مايضفيه الكتاب المقدس على داود وأهله، وها هو ذا نـص ماجـاء فى سفـر صموئيل الثانى أحد الأسفار المقدسة بكتابهم المقدس: (١)

---

(١) سفر صموئيل الثانى : ١١ .

« كان في وقت المساء أن داود قام عن سريره ، وتمشى على سطح بيت الملك ، فرأى من على السطح امرأة تستحم، كانت المرأة جميلة المنظر جدا، فأرسل داود، وسأل عن المرأة، فقال واحد: أليست هذه « بَتْشَبَع » بنت « أليعام » امرأة « أوريا الحثى » ؟

وأرسل داود رسلا وأخذها، فدخلت إليه، فاضطجع معها ، وهى مطهرة من طمثها، ثم رجعت إلى بيتها .

وحبلت المرأة، فأرسلت، وأخبرت دواد، وقالت : إنى حبلى !

فأرسل داود إلى « يوآب » يقول: أرسل إلىَّ « أوريا الحثى » فأرسل «يوآب» «أوريا» إلى داود، فأتى « أوريا » إليه، فسأله داود عن سلامة « يوآب » وسلامة الشعب، ونجاح الحرب.

وقال داود لأوريا: انزل إلى بيتك، واغسل رجليك .

فخرج أوريا من بيت الملك، وخرجت وراءه حصة من عند الملك، ونام أوريا على باب بيت الملك مع جميع عبيد سيده، ولم ينزل إلى بيته، فأخبروا داود قائلين : لم ينزل أوريا إلى بيته، فقال داود لأوريا: أما جئت من السفر ؟ فلماذا لم تنزل إلى بيتك ؟

فقال أوريا لداود: إن التابوت وإسرائيل ويهوذا ساكنون فى الخيام، وسيدى يوآب وعبيد سيدى نازلون على وجه الصحراء، وأنا آتى إلى بيتى لآكل وأشرب، وأضطجع مع امرأتى ! وحياتك وحياة نفسك لا أفعل هذا الأمر .

فقال داود لأوريا : أقم هنا اليوم أيضا، وغدا أطلقك .

فأقام أوريا فى أورشليم ذلك اليوم وغده، ودعاه داود، فأكل أمامه وشرب، وأسكره، وخرج عند المساء ليضطجع فى مضجعه مع عبيد سيده، وإلى بيته لم ينزل !

وفى الصباح كتب داود مكتوبا إلى يوآب، وكتب فى المكتوب يقول : اجعلوا أوريا فى وجه الحرب الشديدة، وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت .

وكان فى محاصرة يوآب المدينة أنه جعل أوريا فى الموضع الذى علم أن رجال البأس فيه، فخرج رجال المدينة وحاربوا يوآب، وسقط بعض الشعب من عبيد داود ، ومات أوريا الحثى أيضا .

فأرسل يوآب، وأخبر داود بجميع أمور الحرب، وأوصى الرسول قائلا: عندما تفرغ من الكلام مع الملك عن جميع أمور الحرب، فإن اشتعل غضب الملك وقال لك : لماذا

دنوتم من المدينة للقتال ؟ أما علمتم أنهم يرمون من على السور ؟ من قتل أبيما لك بن يربوشت ؟ ألم ترمه امرأة بقطعة رحى من علا السور فمات فى « تاباص » ؟ لماذا دنوتم من السور ؟ فقل : قد مات عبدك أوريا الحثى أيضا !

فذهب الرسول ودخل وأخبر داود بكل ما أرسله فيه يوآب ، وقال الرسول لدواد : قد تجبر علينا القوم ، وخرجوا إلينا إلى الحقل ، فكنا عليهم إلى مدخل الباب ، فرمى الرماة عبيدك من على السور فمات البعض من عبيد الملك ، ومات عبدك أوريا الحثى أيضا !

فقال داود للرسول : هكذا تقول ليوآب ، لا يسؤ فى عينيك هذا الأمر ، لأن السيف يأكل هذا وذاك ، شدد قتالك على المدينة وأخربها وشدده .

فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات أوريا رجلها ندبت بعلها ، ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته . وصارت له امرأة ، وولدت له ابنا ، وأما الأمر الذى فعله داود فقبح فى عين الرب » !

وتكملة هذه القصة بالإصحاح الثانى عشر من سفر صموئيل الثانى ، وها نحن أولاء ننقل منه الحوار الذى جرى بين ناثان وداود :

« قال ناثان لداود : أنت هو الرجل ؟ هكذا قال الرب إله إسرائيل : أنا مسحتك ملكا على إسرائيل ، وأنقذتك من يد شاول ، وأعطيتك بيت سيدك ونساء سيدك فى حضنك ، وأعطيتك بيت إسرائيل ويهوذا ، وإن كان ذلك قليلا كنت أزيد لك كذا وكذا ، لماذا احتقرت كلام الرب لتعمل الشر فى عينيه ؟ وقد قتلت أوريا الحثى بالسيف ، وأخذت امرأته لك امرأة ، وإياه قتلت بسيف بنى عمون ، والآن لا يفارق السيف بيتك إلى الأبد ، لأنك احتقرتنى وأخذت امرأة أوريا الحثى لتكون لك امرأة . هكذا قال الرب : هأنذا أقيم عليك الشر من بيتك ، وآخذ نساءك أمام عينيك وأعطيهن لقريبك فيضطجع مع نسائك فى عين هذه الشمس ، لأنك أنت فعلت بالسر ، وأنا أفعل هذا الأمر قدام جميع إسرائيل وقدام الشمس !

فقال داود لناثان : قد أخطأت إلى الرب .

فقال ناثان لداود : الرب أيضا قد نقل عنك خطيتك ، لا تموت ، غير أنه من أجل أنك قد جعلت بهذا الأمر أعداء الرب يشمتون فالابن المولود لك يموت .

وذهب ناثان إلى بيته .

وضرب الرب الولد الذى ولدته امرأة أوريا لداود فثقل ، فسأل داود الله من أجل الصبى ، وصام داود صوما ، ودخل وبات مضطجعا على الأرض ، فقام شيوخ بيته عليه ليقيموه فلم يشأ ، ولم يأكل معهم خبزا ، وكان فى اليوم السابع أن الولد مات ، فخاف عبيد داود أن يخبروه بأن الولد قد مات ، لأنهم قالوا : هو ذا لما كان الولد حيا كلمناه ، فلم يسمع لصوتنا ، فكيف نقول له : قد مات الولد ، يعمل أشر ؟

ورأى داود عبيده يتناجون ، ففطن داود أن الولد قد مات ، فقال داود لعبيده : هل مات الولد ؟ فقالوا : مات .

فقام داود عن الأرض واغتسل وادّهن وبدل ثيابه ، ودخل بيت الرب وسجد ، ثم جاء إلى بيته ، وطلب فوضعوا له خبزا فأكل ، فقال له عبيده: ما هذا الأمر الذى فعلت ؟ لما كان الولد حيا صمت وبكيت ، ولما مات الولد قمت وأكلت خبزا ، فقال : لما كان الولد حيا صمت وبكيت ، لأنى قلت : من يعلم ؟ ربما يرحمنى الرب ويحيا الولد ، والآن قد مات ، فلماذا أصوم ؟ هل أقدر أن أرده بعد ؟ أنا ذاهب إليه وأما هو فلا يرجع إلى !

وعزى داود بتشبع امرأته ، ودخل إليها ، واضطجع معها ، فولدت ابنا ، فدعا اسمه سليمان ، والرب أحبه » !

وفى أسرة داود .. فى أولاده ما تثير منكراتهم البشعة الاشمئزاز ، فهذا أمنون بن داود يزنى بأخته من أبيه داود ، واسمها « ثامار » بنت داود ، وكان قد احتال على الخلوه بها بعد أن برح به الشوق إلى مضاجعة أخته !

وها هو ذا سفر صموئيل الثانى يتحدث بما نصه [1] :

« كان لأبشالوم بن داود أخت جميلة اسمها ثامار ، فأحبها أمنون بن داود ، وأحصر أمنون للسقم من أجل أخته ثامار ، لأنها كانت عذراء ، وعسر فى عينى أمنون أن يفعل لها شيئا ، وكان لأمنون صاحب اسمه يوناداب بن شمعى أخى داود ، وكان يوناداب رجلا حكيما جدا ، فقال له : لماذا يا بن الملك أنت ضعيف هكذا من صباح إلى صباح أما تخبرنى ؟

فقال له أمنون : إنى أحب ثامار أخت أبشالوم أخى .

---

(١) سفر صموئيل الثانى : ١٣ .

فقال يوناداب : اضطجع على سريرك وتمارض ، وإذا جاء أبوك ليراك فقل له : دع ثامار أختى فتأتى وتطعمنى خبزا ، وتعمل أمامى الطعام لأرى فآكل من يدها .

فاضطجع أمنون وتمارض ، فجاء الملك ليراه ، فقال أمنون للملك : دع ثامار أختى فتأتى وتصنع أمامى كعكتين ، فآكل من يدها .

فأرسل داود ثامار إلى البيت قائلا : اذهبى إلى بيت أمنون أخيك ، واعملى له طعاما .

فذهبت إلى بيت أمنون أخيها وهو مضطجع ، وأخذت العجين وعجنت ، وعملت كعكا أمامه ، وخبزت الكعك ، وأخذت المقلاة وسكبت أمامه ، فأبى أن يأكل ، وقال أمنون : أخرجوا كل إنسان عنى ، فخرج كل إنسان عنه ، ثم قال أمنون : إيتى بالطعام إلى المخدع فآكل من يدك .

فأخذت ثامار الكعك الذى عملته ، وأتت به أمنون أخاها إلى المخدع ، وقدمت له ليأكل ، فأمسكها وقال لها : تعالى اضطجعى معى يا أختى ، فقالت له : لا ، يا أخى لا تذلنى .. والآن كلم الملك لأنه لا يمنعنى منك .

فلم يشأ أن يسمع لصوتها ، بل تمكن منها ، وقهرها ، واضطجع معها ، ثم أبغضها أمنون بغضة شديدة » !

وأما داود فكل ما عمل هو ما يقول سفر صموئيل فى آخر الإصحاح الثالث عشر نفسه : « ولما سمع الملك داود بجميع هذه الأمور اغتاظ جدا » .

الاغتياظ وحده ، ولا شىء مما حمل أبشالوم أن يقتل أمنون ، ولكن بعد سنتين ، وأبشالوم هذا هو الذى حدث بينه وبين أبيه داود خلاف أدى به إلى ادعاء الملك ، حتى هرب داود من وجهه خوفا ، وترك قصره وفيه عشر من سراريه لحفظه .

وفى آخر الإصحاح السادس عشر من سفر التكوين ما يأتى :

« نصبوا لأبشالوم الخيمة على السطح ، ودخل أبشالوم إلى سرارى أبيه أمام جميع إسرائيل » .

ولكن أبشالوم قتل بعد ذلك فى الحرب بينه وبين أبيه ، فكان أبوه داود يقول سائلا :

« أسلام للفتى أبشالوم ؟ [1] فلما علم أنه قتل أخذ يصيح : ابنى أبشالوم ! يا ابنى أبشالوم ! ياليتنى متّ عوضا عنك يا أبشالوم ! ابنى ! يا ابنى !

الحق أن كل ما نسب إلى داود عليه السلام يثير مع الغضب الاشمئزاز ، ولم يكن ذلك وحده موضع السخط والاشمئزاز بل الله جل جلاله وعلاه وعز ذكره عرضه الكتاب المقدس عندهم لاستنكار حكمه ، فداود زنا ، كما يزعمون ، وقتل زوج المرأة التى زنا بها ، وزنا داود استوجب غضب الله ، لأنه ارتكب ما حرم الله ، فيعاقبه الله بفعله من جنس فعله ، بل على أبشع وأقذر ! فقد كان الحكم أن يزنى ابنه أبشالوم بنسائه!

وزنا المحارم أشد وأبغض إلى الله .. وفى الوقت ذاته يكون زنا ابن داود بنسائه جهرا ونهارا وأمام عيون الشعب !

هذا ما يقرره الكتاب المقدس !

والسؤال الذى يتوارد هنا : إذا كان مثل هذه المنكرات البشعة القذرة العفنة تحدث عن الأنبياء والمرسلين وأولادهم فى بنى إسرائيل ، فما تكون حال عامة الناس ؟! .

وكيف يكون هذا حال الأنبياء والمرسلين ؟ !

وكيف يعبد الناس ربا يعاقب على الزنا العادى بزنا غاية فى البشاعة والنكر ؟ !

تعالى الله علوا كبيرا ..

وإن الإسلام يبرئ داود من هذه التهمة ، ويثبت له العصمة ، ويشهد له بالنزاهة والتمام فى خلائقه ، يقول تعالى :

﴿ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴾ [2].

إنه يذكر هنا داود بأنه ذو القوة وبأنه أواب .. وقد سبق ذكر قصته وظهوره فى جيش طالوت ، فى بنى إسرائيل من بعد موسى .. وقتل داود جالوت ، وكان إذ ذاك فتى .. ومنذ ذلك الحين ارتفع نجمه حتى أصبح ذا سلطان ، ولكنه كان أوابا رجاعا إلى ربه بالطاعة والعبادة والذكر والاستغفار .

---

(١) سفر صموئيل الثانى : ١٨ : ٢٣ : ١٩ : ٤ .   (٢) ص : ١٧ – ٢٠ .

قال البخارى : الأواب : الراجع المنيب . وأخرج ابن جريج من طريق مجاهد قال : الأواب : الرجاع عن الذنوب . ومن طريق قتادة قال : المطيع ، ومن طريق السدى قال : هو المسبح [١] .

ومع النبوة والملك آتاه الله من فضله قلبا ذاكرا ، وصوتا رخيما يرجع به تراتيله التى يمجد فيها ربه [٢] .. وبلغ من قوة استغراقه فى الذكر ، ومن حسن حظه فى الترتيل ، أن تزول الحواجز بين كيانه وكيان هذا الكون . وتتصل حقيقته بحقيقة الجبال والطير فى صلتها كلها ببارئها ، وتمجيدها له وعبادتها . فإذا الجبال تسبح معه ، وإذا الطير مجموعة عليه ، تسبح معه لمولاها ومولاه :

﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾

ولقد يقف الناس مدهوشين أمام هذا النبأ .. الجبال الجامدة تسبح مع داود بالعشى والإشراق ، حينما يخلو إلى ربه ، يرتل ترانيمه فى تمجيده وذكره .. والطير تتجمع على نغماته لتسمع له وترجع معه ... لقد يقف الناس مدهوشين للنبأ ، إذ يخالف مألوفهم ، ويخالف ما اعتادوا أن يحسوه من العزلة بين جنس الإنسان ، وجنس الطير ، وجنس الجبال !

ولكن فيم الدهش ؟ وفيم العجب ؟ إن لهذه الخلائق كلها حقيقة واحدة ، وراء تميز الأجناس والأشكال والسمات .. حقيقة واحدة يجتمعون فيها ببارئ الوجود كله : أحيائه وأشيائه جميعا .. وحين تصل صلة الإنسان بربه إلى درجة الخلوص والإشراق والصفاء ، فإن تلك الحواجز تنزاح ، وتنساح الحقيقة المجردة لكل منهم ، فتتصل من وراء حواجز الجنس والشكل والصفة والسمة التى تميزهم وتعزلهم فى مألوف الحياة !

ولقد وهب الله عبده داود عليه السلام هذه الخاصية ، وسخر الجبال معه يسبحن بالعشى والإشراق ، وحشر عليه الطير ترجع مع ترانيمه تسبيحا لله ، وكانت هذه فوق الملك والسلطان ، مع النبوة والاستخلاص .

يروى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال :

---

(١) فتح البارى : ٦ : ٤٥٨ .

(٢) فى ظلال القرآن : ٥ : ٣٠١٧ بتصرف .

« **خُفِّف علي داود عليه السلام القرآن ، فكان يأمُر بدوابه فتسرَجُ ، فيقرأ القرآن قبل أن تُسرجَ دوابُّه ، ولا يأكل إلا من عمل يده** » . [1]

قال ابن حجر : فى رواية الكشميهنى « القراءة » قيل : المراد بالقرآن القراءة ، والأصل فى هذه اللفظة : الجمع ، وكل شىء جمعته فقد قرأته، وقيل: المراد الزبور ، وقيل التوراة ، وقراءة كل نبى تطلق على كتابه الذى أوحى إليه ، وإنما سماه قرآنا للإشارة إلى وقوع المعجزة به، كوقوع المعجزة بالقرآن، أشار إليه صاحب المصابيح، والأول أقرب، وإنما ترددوا بين الزبور والتوراة ، لأن الزبور كله مواعظ ، وكانوا يتلقون الأحكام من التوراة.. وفى الحديث أن البركة قد تقع فى الزمن اليسير حتى يقع فيه العمل الكثير . [2]

﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾

فكان ملكه قويا عزيزا .. وكان يسوسه بالحكمة والحزم جميعا . وفصل الخطاب : قطعه والجزم فيه برأى لا تردد فيه ، وذلك مع الحكمة ومع القوة غاية الكمال فى الحكم والسلطان فى عالم الإنسان .

ومع هذا كله فقد تعرض داود للفتنة والابتلاء ، وكانت عين الله عليه لترعاه وتقود خطاه ، وكانت يد الله معه :

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ۝ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ۝ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ۝٢٣ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [3]

وبيان هذه الفتنة أن داود النبى الملك ، كان يخصص بعض وقته للتصرف فى شئون الملك ، ويخصص البعض الآخر للخلوة والعبادة فى المحراب ، وكان إذا دخل المحراب للعبادة والخلوة لم يدخل إليه أحد حتى يخرج هو إلى الناس .

---

(١) البخارى : ٦٠ ـ الأنبياء (٣٤١٧) .

(٢) فتح البارى : ٦ : ٤٥٥ بتصرف .

(٣) ص : ٢١ ـ ٢٥ .

وفي ذات يوم كانت المفاجأة، حين تسور الخصم المحراب، ففزع منهم، فبادروا باطمئنانه:

﴿قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ﴾ وجئنا للتقاضي أمامك:

﴿فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ وبدأ أحدهما فعرض خصومته:

﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾

أي شدد عليّ في القول وأغلظ.

والقضية ـ كما عرضها أحد الخصمين ـ تحمل ظلما صارخا لا يحتمل التأويل .. ومن ثم اندفع داود عليه السلام يقضي على أثر سماعه لهذه المظلمة الصارخة، ولم يوجه إلى الخصم الآخر حديثا، ولم يطلب إليه بيانا، ولم يسمع له حجة، لكنه مضى يحكم:

﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾

قال الشهاب: [1] فيه مبالغة من وجوه: وصفهم بالقلة، وتنكير «قليل» وزيادة «ما» الإبهامية. والشيء إذا بولغ فيه كان مظنة للتعجب، فكأنه قيل: ماأقلهم.

وفي قضائه عليه السلام هذا، من الحكمة وفصل الخطاب مايهيج الأفئدة ويقر عين المغبون. ذلك أنه صدع بالحق أبلغ صدع. فجهر بظلم خصمه وبغيه جهرا لا محاباة فيه ولا مواربة، فأقر عين المظلوم، وعرف الباغي ظلمه وحيفه، وأن سيف العدل والإنصاف فوقه، ثم نفّس عن قلب المظلوم البائس، وروّح عن صدره بذكر ماعليه الأكثر من هذه الخلة ـ خلة البغي وعدم الإنصاف ـ مع الخلطة والخلة، ليتأسى ويتسلى، كما قيل: «إن التأسي روح كل حزين» ثم أكد الأمر بقلة القائمين بحقوق الأخوة، ممن آمن وعمل صالحا، فكيف بغيرهم؟ وكلها حكم وغرر ودرر، حقائق تنطبق على أكثر هذا السواد الأعظم من الناس، الذين يدعون المحبة والصداقة .. ولعظم شأن حقوق المحبة أسهب في آدابها علماء الأخلاق إسهابا نوعوا فيه الأبواب، ولونوا فيه الفصول .. ومع ذلك لاتزال الشكوى عامة، وقد امتلأت من منظومها ومنثورها كتب الأدب، كما لايخفى على من له إلمام به ..

---

(١) تفسير القاسمي: ١٤: ٥٠٨٧ بتصرف.

﴿ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ ﴾

أى ابتليناه بتلك الحكومة .

﴿ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ﴾

أى ما استغفر منه .

﴿ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾

أى لقربا ومرجعا حسنا وكرامة فى الآخرة .

ومع ذلك خاضت بعض التفاسير فى الإسرائيليات المردودة رواية ودراية ! [(١)]

إنهم نسبوا إلى داود عليه السلام التهجم بالاطلاع على عورة امرأة أجنبية عنه !

ونسبوا إليه انتهاك حرمة الجوار !

ونسبوا إليه الغدر بزوج المرأة ليستولى عليها !

كما نسبوا إليه عدم الاكتفاء بتسع وتسعين، ومن ثم اتخذ الإجرام وسيلة إلى ضم تلك الزوجة إلى نسائه !

وكل هذه أمور يستحيل صدورها من نبى معصوم ، لأنها منافية للعصمة التى قامت الأدلة على ثبوتها .

والقصة ـ كما سبق ـ سيقت مساق المدح لداود عليه السلام .. وقد بدأت بقوله «اصبر» وهنا نبصر الإشارة إلى الطريق المطروق فى حياة الرسل عليهم صلوات الله وتسليماته .. [(٢)] الطريق الذى يضمهم أجمعين. فكلهم سار فى هذا الطويق .. كلهم عانى .. وكلهم ابتلى .. وكلهم صبر .. وكان الصبر هو زادهم جميعا ، وطابعهم جميعا.. كل حسب درجته فى سلم الأنبياء .. ولقد كانت حياتهم كلها تجربة مفعمة بالابتلاءات، مفعمة بالآلام ، وحتى السراء كانت ابتلاء، وكانت محكا للصبر على النعماء بعد الصبر على الضراء ، وكلتاهما فى حاجة إلى الصبر على الاحتمال:

﴿ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾

---

(١) انظر: تفسير مقاتل: ٣: ١٢٦٦ ـ ١٢٦٨، وتفسير الطبرى : ٢٣: ١٤٣ وما بعدها .

(٢) فى ظلال القرآن : ٥ : ٣٠١٦ بتصرف .

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ﴾ (١) .

قال ابن حزم في رده على هؤلاء بعد أن ذكر قوله تعالى :

﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَؤُا الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ ﴾

إلى قوله :

﴿ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ ﴾ (٢) .

وهذا قول صادق صحيح لايدل على شيء مما قاله المستهزئون الكاذبون المتعلقون بخرافات ولّدها اليهود، وإنما كان ذلك الخصم قوما من بني آدم بلاشك مختصمين في نعاج من الغنم على الحقيقة بينهم، بغى أحدهما على الآخر، على نص الآية، ومن قال إنهم كانوا ملائكة معرضين بأمر النساء فقد كذب على الله عزوجل وقوّله مالم يقل، وزاد في القرآن ماليس فيه ، وكذّب الله عز وجل ، وأقر على نفسه الخبيثة أنه كذب الملائكة، لأن الله تعالى يقول :

فقال هو : لم يكونوا قط خصمين، ولا بغى بعضهم على بعض، ولاكان قط لأحدهما « تسع وتسعون نعجة » ولا كان لأحدهما « نعجة واحدة » ، وقال له « أكفلنيها » فأعجبوا. لِمَ يقحمون فيه أهل الباطل أنفسهم ؟ ونعوذ بالله من الخذلان . ثم كل ذلك دليل، بل الدعوى المجردة. وتالله ! إن كل امرئ منا ليصون نفسه وجاره المستور عن أن يتعشّق امرأة جاره ، ثم يعرّض زوجها للقتل عمدا ، ليتزوجها .وعن أن يترك صلاته لطائر يراه. هذه أفعال السفهاء المتهوّكين الفساق المتمردين لاأفعال أهل البر والتقوى . فكيف برسول الله داود ﷺ الذي أوحى إليه كتابه وأجرى على لسانه كلامه ؟ لقد نزّهه الله عز وجل عن أن يمر مثل هذا الفحش بباله . فكيف أن يستضيف إلى أفعاله ؟ وأما استغفاره وخروره ساجدا ومغفرة الله تعالى له، فالأنبياء عليهم السلام أولى الناس بهذه الأفعال الكريمة. والاستغفارفعل خير لاينكر من ملَك ولا من نبي . ولا من مذنب ولا من غير مذنب . فالنبي يستغفر الله لمذنبي أهل الأرض ، والملائكة كما قال الله تعالى :

---

(١) سبأ : ١٠ .

(٢) الفصل في الملل والنحل : ٤ : ١٨ ـ ١٩ وبهامشه الملل والنحل للشهرستاني، دار الفكر ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ .

﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ [1].

وأما قوله تعالى عن داود عليه السلام :

﴿ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ ﴾

وقوله تعالى :

﴿ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ ﴾

فقد ظن داود عليه السلام أن يكون ماآتاه الله عز وجل من سعة الملك العظيم فتنة .

فقد كان رسول الله ﷺ يدعو فى أن يثبت الله قلبه على دينه [2].

فاستغفر الله تعالى من هذا الظن ، فغفر الله له تعالى هذا الظن. إذ لم يكن ما آتاه الله تعالى من ذلك فتنة .

قال القاسمى : وهو وقوف على ظاهر الآية، مجردا عن إشارة وإيماء. [3]

وقال البرهان البقاعى فى تفسيره: وتلك القصة وأمثالها من كذب اليهود!

ثم قال: وأخبرنى بعض من أسلم منهم أنهم يتعمدون ذلك فى حق داود عليه السلام، لأن عيسى عليه السلام من ذريته، ليجدوا سبيلا إلى الطعن فيه!

ثم قال: وقوله تعالى « فغفرنا له ذلك » أى الوقوع فى هذا الحديث عن إسناد الظلم إلى أحد بدون سماع لكلامه . وهذه الدعوى تدريب لدواد عليه السلام فى الأحكام . وذكرها للنبى ﷺ تدريب له فى الأناة فى جميع أموره على الدوام . ولما ذكر هذا ، ربما أوهم شيئا فى مقامه ﷺ ، فدفعه بقوله:

﴿ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾

فالقصة لم يجر ذكرها إلا للترقية فى رتب الكمال. وأول دليل على ماذكرته، أن هذه الفتنة إنما هى بالتدريب على الحكم ، لابامرأة ولاغيرها ، وأما ماذكروه من قصة الأمرباطل وإن اشتهر . فكم من باطل مشهور، ومذكور، وهو عين الزور !

---

(١) غافر: ٧ .
(٢) انظر: مسلم : ٤٦ ـ القدر ١٧ (٢٦٥٤) والترمذى (٢١٤٠) .
(٣) تفسير القاسمى : ١٤ : ٥٠٩٠ وما بعدها بتصرف.

وقال ابن كثير: [1] قد ذكر المفسرون هاهنا قصة، أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه . ولكن روى ابن أبى حاتم هنا حديثا لايصح سنده ، لأنه من رواية يزيد الرقاشى عن أنس رضى الله عنه، ويزيد ضعيف الحديث عند الأئمة . قلت: قال النسائى وغيره فى يزيد : متروك .[2]

قال ابن كثير: فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة، وأن يردّ علمها إلى الله عزوجل ، فإن القرآن حق ، وما تضمن فهو حق أيضا.

وقال القاضى عياض: وأما قصة داود عليه السلام ، فلا يجب أن يلتفت إلى ماسطره فيها الإخباريون على أهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا، ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله على شيء من ذلك ، ولا ورد فى حديث صحيح .

وقال ابن القيم: وأما دعوى بعضهم أن التوراة تعدُّ داود ملكا حكيما ، لانبيا، بدليل ذكره فى أسفار الملوك منها، وما فيها من أنه بعث إليه نبيّ يقال له : « قاشان » ــ ضرب له المثل المذكور ــ فدعوى مردودة من وجود:

منها : أن الاستدلال بالتوراة التى بين أيديهم فى إثبات أو نفى لايعول عليه. كيف لا ؟ وقد أوتينا الحقيقة بيضاء نقية محفوظة من التغيير والتبديل بحمده تعالى .

ومنها: أن نبوة داود عليه السلام لا خلاف فيها عند المسلمين، فلا عبرة بخلاف غيرهم.

ومنها : أنه لامانع أن تجتمع النبوة والملك لمن أراده الله واصطفاه، وقد فعل ذلك بداود وسليمان عليهما السلام .

ومنها : أنه لا حاجة فى كتابنا الكريم أن يتمم بما جاء فى غيره، أو يحاول رده إلى سواه من الكتب، أو هى إليه ، لاستغنائه بنفسه. بل وكونه مهيمنا على سائر الكتب، كما أخبر الله تعالى . فليتأمل ذلك . [3]

وأختم الحديث هنا بما رواه البخارى عن مجاهد قال: قلت لابن عباس أنسجد فى «ص » ؟ فقرأ :

﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ ﴾

---

(١) تفسير ابن كثير : ٤ : ٣١ بتصرف . (٢) انظر: ميزان الاعتدال : ٤ : ٤١٨ والمغنى فى الضعفاء : ٢: ٧٤٧ .

(٣) تفسير القاسمى : ١٤ : ٥٠٩٢ بتصرف .

حتى أتى :

﴿ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾[1].

فقال ابن عباس رضى الله عنهما: نبيّكم ﷺ ممن أمر أن يقتدى بهم .[2]

سليمان وأمه :

ومع كل هذا لم يكف الكتاب المقدس عند بنى إسرائيل عن طعن داود وبعض أولاده: [3] ابنته « ثامار » وابنيه « أمنون » و « أبشالوم » ونسائه ـ كما أسلفنا ـ حتى أضاف هذا الكتاب طعن سليمان بن داود طعنات فى الصميم، فقد طعن أم سليمان وجعلها تحمل سفاحا، وطعن أباه داود فى اقتراف الزنا مع أمه !

وبعد هذا كله تجعله مرتدا، وهذا سفر الملوك فى الإصحاح الحادى عشر يقول : «وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون موآبيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات من الأمم الذين قال عنهم الرب لبنى إسرائيل: لا تدخلون إليهم، ولا يدخلون عليكم، لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم، فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة، وكانت له سبعمائة من النساء السيدات، وثلاثمائة من السرارى ، فأمالت نساؤه قلبه .

وكان فى زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ، ولم يكن قلبه كاملا مع الرب إلهه كقلب داود أبيه، فذهب سليمان وراء عشتروت إلهة الصيدونيين ، وملكوم رجس العمونيين .

وعمل سليمان الشر فى عينى الرب ، ولم يتبع الرب تماما كداود أبيه ، حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس المؤابيين على الجبل الذى تجاه أورشلم . وللملوك رجس بنى عمون، وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللاتى يوقدن ويذبحن لآلهتهن.

فغضب الرب على سليمان ، لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذى تراءى له مرتين، وأوصاه فى هذا الأمر ألا يتبع آلهة أخرى، فلم يحفظ ما أوصى به الرب، فقال الرب لسليمان : من أجل ذلك عندك ولم تحفظ عهدى وفرائضى التى أوصيتك بها، فإنى أمزق المملكه عنك تمزيقا، وأعطيها لعبدك، إلا أنى لاأفعل ذلك فى أيامك من أجل داود أبيك بل من يد ابنك أمزقها » .

---

(١) الأنعام : ٨٤ ـ ٩٠ .   (٢) البخارى : ٦٠ ـ الأنبياء (٣٤٢١) .

(٣) اليهودية والصهيونية : ٨٠ وما بعدها بتصرف .

وسليمان نبى ، ولا يكون النبى نبيا إلا إذا كان موحدا بالله وحده، كافرا بكل ماعداه من الآلهة المتخذة من عبادها الكافرين، ومع ذلك يمحقه الكتاب المقدس عندهم محقا، فيتهمه بعصيان الله جهرا من أجل شهواته، من أجل نسائه ، فيبنى المرتفعات للأصنام ، ويتبع آلهة أخرى إرضاء لأزواجه، ويتهمه بالكفر !

وليس أبشع ولا أشر من اتهام النبى بمعصية الله ورد أمره وإعلان الكفر، ولا يقبل عقلا ولا دينا أن يكون الأنبياء والمرسلون كما تصف التوراة وأسفارهم المقدسة عندهم، لأن ذلك يناقض ما اختارهم الله له من الرسالة والنبوة، وهؤلاء المختارون إنما اختيروا لأنهم المثل الأعلى للبشر فى الخلائق والصفات والأعمال الصالحة .

وحسبنا أن نذكر قول الحق تبارك وتعالى:

﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾[1] .

أخلاق يهـود :

ومن الغريب أن أسفار اليهود تنسب إلى الله عز وجل ما لو نسب إلى مخلوق لحط من كرامته وشأنه، ولاشمأز منه الناس !

فالنبى عندهم « هوشع » يأمره الله ـ كمايفترون ـ بأن يتخذ زانية ، ويصاحب حبيبة صاحب، وهذا هو ذا سفر « هوشع » ـ أحد الأسفار المقدسة ـ يقول فى الإصحاح الأول من الفقرة الثانية وما بعدها :

« أول ماكلم الرب هوشع قال الرب لهوشع: اذهب ، خذ لنفسك امرأة زنى وأولاد زنى، لأن الأرض قد زنت زنى، تاركة الرب ، فذهب وأخذ جومر بنت دِبْلايم، فحبلت ، وولدت له ابنا، فقال له الرب: ادع اسمه يَزْرَعيل ...

ثم حبلت أيضا ، وولدت له بنتا، فقال له الرب : ادع اسمها لورحامة .ثم فطمت لورحامة ، وحبلت فولدت ابنا ، فقال : ادع اسمه لوَعمّى » .

وفى الإصحاح الثالث، يقول هوشع :

قال الرب لى: «اذهب أيضا ، أحبب امرأة حبيبة صاحب، وزانية، كمحبة الرب لبنى إسرائيل، وهم ملتفتون إلى آلهة أخرى » .

---

(١) ص : ٣٠ .

وماذا يبقى من شرائع الأخلاق وآداب السلوك وفضائل المجتمع وذخر الفرد والجماعة إذا كان الله يأمر باتخاذ ماينقص الأخلاق ويحطم الفضائل ، وإذا كان من وكل إليهم هداية البشر ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يقارفون أشد الموبقات والعهر والفجور نتنا ؟!

إذا كان الله يأمر أحد أنبيائه عندهم ـ وهو هوشع ـ بأن يأخذ زانية، ويعاقب داود على زناه بأجنبية بأن زنى ابنه بنسائه ، فماذا يبقى للفاجرين والزناة من عامة الناس ؟!

تعالى الله عما يفترون علوا كبيرا .

ومحال على الأنبياء والمرسلين مايصفهم به الكتاب المقدس ـ كما يفترون ـ ولا يمكن أن يختار الله أحدا من خلقه للنبوة إلا وهو فى أعلى مراتب الكمال الإنسانى .

وكل ماجاء فى الكتاب المقدس لدى هؤلاء من وصف الأنبياء والمرسلين بما لايليق من الصفات إنما هو كذب محض !

والشىء الذى يجدر بالوقوف عنده ولوع هذا الكتاب المقدس بالزنا والخمر والحيل والخداع والكذب وهتك الأعراض وزنا المحارم فى بيئة الرسل والأنبياء وأسرهم !

ولا شك أن مايوجه اليهود إلى أنبيائهم ورسلهم من تهمة هتك الأعراض والزنا والقتل إنما هو انعكاس صحيح صادق لما يعيش فيه اليهود من السفالة، فهم مولعون بزنا الأباعد والأقارب والمحارم ، وهم مولعون بأن يجعلوا منكراتهم وموبقاتهم سائغة غير مستنكرة ، ومن ثم اتهموا أفضل الخلق وهم الرسل بما اتهموهم به من الفسق والفجور حتى يكون لهم العذر فى سفالاتهم ، هكذا يتوهمون !

فإذا كان أفضل الخلق طهرا، وهم الأنبياء والرسل ، إذا كانوا زناه وقتلة وكذابين فلا لوم على الناس إذا سلكوا مسلكهم وتخلقوا بأخلاقهم !

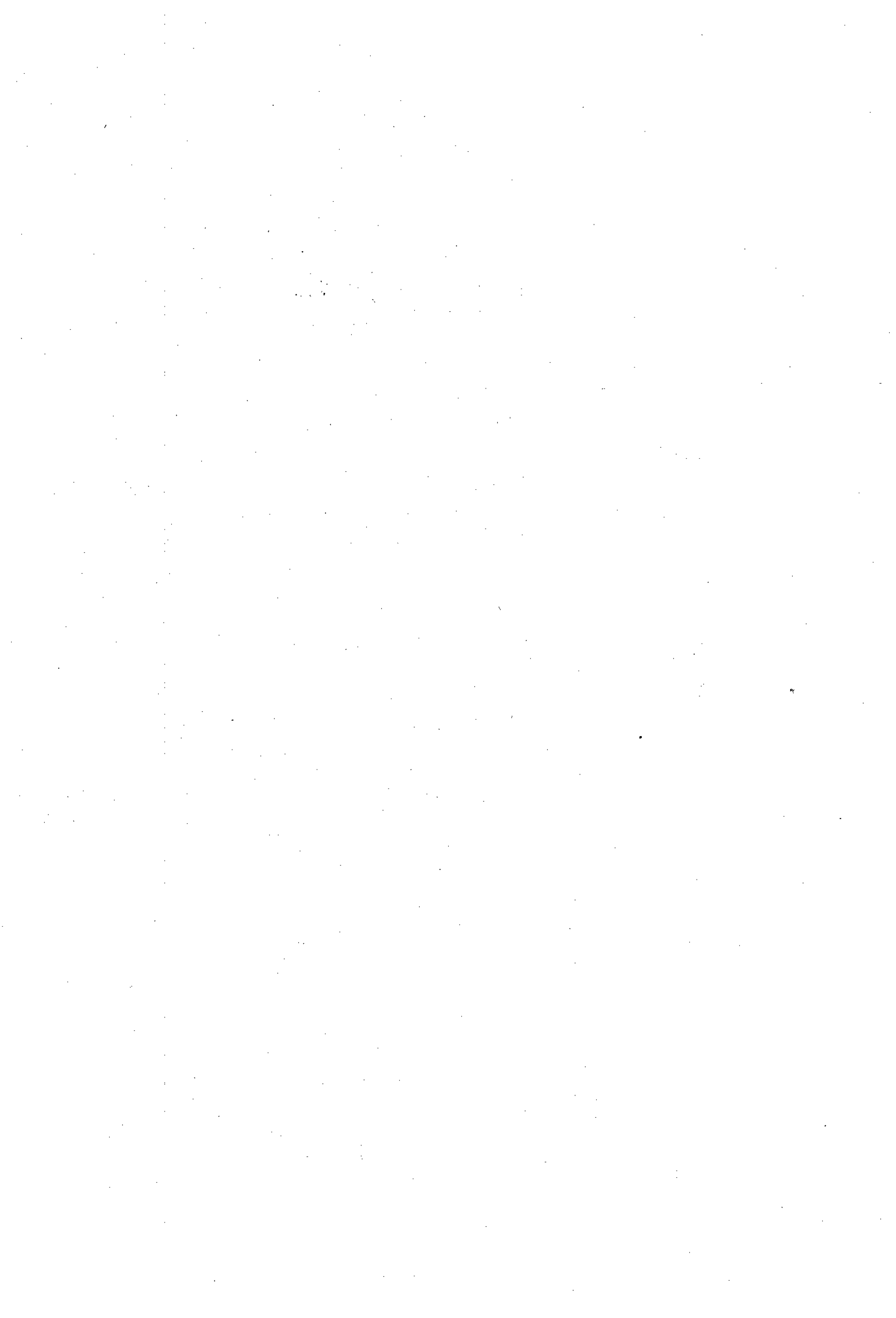
حقا إنها أخلاق يهود !

والإسلام ينزه الرسل والأنبياء من كل عيب ونقص، ويثبت لهم العصمة، وكل من طعنهم الكتاب المقدس لدى اليهود نزههم الدين القيم ـ كما أسلفنا ـ وهذا فارق مابين الدين القيم واليهودية فى هذا المقام ، فالإسلام دين سمح نظيف عفيف كامل فى كل خصائصه ومعالمه .

والإسلام ــ آدابا وسلوكا وشريعة وعقيدة ــ الدين الوحيد الذى تنزه عن كل مايعيب، وغيره لايرقى إلى مرتبة الدين الحق ، لأن الإسلام قائم على الإيمان بوحدانية الله وكماله المطلق، والإيمان برسله وكمالهم الإنسانى، وبالكتب التى أنزلها الله على رسله، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

وفى مقدمة مزايا الإسلام على جميع العقائد التى تصورها مصادرها: تنزيه الله، ووصفه بالكمال المطلق فى ذاته وصفاته وأقواله وأفعاله وتوحيده، وإثبات الألوهية له وحده دون سواه، والكفر بالآلهة المخترعة، والأصنام المصنوعة.

ولهذا يرد الإسلام كل صفة لا تتفق مع كمال الله وجلاله، ولا يقبل ما نسب إلى الله فى قصص أنبياء بنى إسرائيل ــ كما أسلفنا ــ مما ازدحم بأساطيرهم وحكاياتهم الكتاب المقدس عندهم !



الفصل الرابع
ضلالات التلمود

التلمود ومكانته ـ الله فى التلمود ـ أرواح اليهود ـ اليهود والسلطة ـ غير اليهود ـ اليهود والتملك ـ مشروعية القتل ـ اغتصاب النساء ـ القسم فى التلمود ـ تدمير الهيكل ـ الدين التلمودى والهندوسية ـ خرافات التلمود: التنجيم ـ السحر ـ أصل السحر الذى يعمل به اليهود ـ سبب النزول ـ نبذ اليهود كتاب الله ـ اشتغالهم بالسحر ـ فى ظلال الآية ـ السحر فى بعض أنواعه كفر ومتعلمه كافر ـ من السبع الموبقات ـ حديث السحر ـ الحديث ثابت عند أهل العلم ـ متى كان السحر وما مدته؟ـ « التخيل » من قول عائشة على سبيل المبالغة ـ لا تصديق للمشركين ولا موافقة ـ أعلى درجات الصحيح السبع ـ لا منافاة بين الآية والحديث ـ حكم المتواتر ـ الحديث من أعلام النبوة ـ العرافة ـ قول الدكتور «جوزيف باركلى» ـ ماذا تقول العبرية؟ ـ حرق التلمود وإعدامه ـ مناظرات بين المسيحيين واليهود ـ مريم وعيسى ـ معسكر واحد ـ شاهد على الحقيقة.



التلمود ومكانته :

يقول الدكتور أحمد شلبى[1] : بين أيدينا مرجع يعد مصدرا أساسيا عند الحديث عن التلمود، ذلك هو « الكنز المرصود فى قواعد التلمود» ومؤلفه هو الدكتور « روهلنج » الذى كان مدرسا بجامعة « براج» وقد ترجمه من الفرنسية إلى العربية الدكتور يوسف نصر الله، ومرجع آخر وثيق الصلة به وهو « التلمود شريعة إسرائيل» وسنقبس منهما تعريفا بالتلمود وموجزا لأهم مباحثه.

يرى الفرِّنسيُّون من اليهود [2] أن التوراة ليست هى كل الكتب المقدسة، وإنما هناك بجانبها روايات شفوية تناقلها الحاخامات من جيل إلى جيل.. وتلك الروايات هى التى تعرف بالتلمود، وبعد المسيح بمائة وخمسين سنة خاف أحد الحاخامات المسمى « يوضاس» أن تلعب أيدى الضياع بهذه التعاليم الشفوية وتلك الروايات المتناقلة، فجمعهما فى كتاب سماه« المِشنا » ومعنى كلمة « المِشنا » الشريعة المكررة، لأن « المِشنا » تكرار لما ورد فى توراة موسى وليس « المشنا » إلا إيضاحاً وتفسيرا وتكميلا لهذه الشريعة.

وفى السنين التالية أدخل حاخامات فلسطين وبابل كثيرا من الزيادات على ما دونه «يوضاس» وأتم يهوذا سنة ٢١٦ م تدوين هذه الزيادات، والروايات الشفوية، وأصبحت كلمة « المِشنا » تضم كل ما كتب من عهد « يوضاس » إلى عهد « يهوذا ».

واستعصت « المشنا » على بعض القراء، فأخذ علماء اليهود يكتبون عليها حواشى كثيرة وشروحا مسهبة، وسميت هذه الحواشى وتلك الشروح باسم « جِمارا ».

ومن « المِشنا » و « الجِمارا » يتكون التلمود ، فالتلمود تعليم ديانة اليهود وآدابهم ، « المشنا » الذى به زياداتٌ لحاخامات فلسطين يسمى هو وشروحه « تلمود أورشليم » أما « المِشنا» الذى به زيادات لحاخامات بابل فيسمى هو وشروحه« تلمود بابل » وهو المتداول بين اليهود، والمراد عند الإطلاق[3] .

ويعتبر أكثر اليهود التلمود كتابا منزلا، ويضعونه فى منزلة التوراة، ويرون أن الله

---

(١) مقارنة الأديان : اليهودية : ٢٤٩ وما بعدها بتصرف. وانظر: تعريف التلمود فى : فضح التلمود: تعليم الحاخاميين السرية : ٢١ وما بعدها: الأب آى . بى . برانايتس . إعداد زهدى الفاتح. دار النفائس.

(٢) أى المنعزلون والمنشقون. انظر : اليهود : ٢٠٢.

(٣) المرجع السابق: ٢٥٠ نقلا عن الكنز المرصود: ٢٩ ـ ٣٠ بتصرف، والتلمود شريعة إسرائيل : ١٠ ـ ١١.

أعطى موسى التوراة على طور سيناء مدونة، ولكنه أرسل على يده التلمود شفاها، ولا يقنع بعض اليهود بهذه المكانة للتلمود، بل يضعون هذه الروايات الشفوية فى منزلة أسمى من التوراة.

ويرى بعضهم ألا خلاص لمن ترك تعليم التلمود، واشتغل بالتوراة فقط، لأن أقوال علماء التلمود أفضل مما جاء فى شريعة موسى، ويعدون التوراة خبزا، ويرون أن الإنسان لا يعيش بالخبز فقط، وأن الأدم هو التلمود، ويصرحون بأن من يقرأ التوراة بغير المِشنا والجِمارا فليس له إله.

وتضطرب آراء اليهود أحيانا وهم يضعون التلمود فى تلك المكانة، فلا يكتفون بما سبق أن أوردناه من أن التلمود منزل، بل يعلنون أن التلمود إن كان أقوال الحاخامات فهو أيضا فى مكانة التوراة، لأن أقوال الحاخامات هى قول الله الحى، وأن الله يستشير الحاخامات عندما توجد معضلة لا يمكن حلها فى السماء [١]، وإذا خالف أحد اليهود أقوال الحاخامات يعاقب أشد العقاب ، لأن الذى يخالف شريعة موسى خطيئته قد تغتفر، أما من يخالف التلمود فيعاقب بالقتل [٢].

الله فى التلمود :

ويرى التلمود أن الله ندم لما أنزله باليهود وبالهيكل، ومما يرويه التلمود أن الله قال: تَبّاً لى، لأنى صَرَّحْت بخراب بيتى، وإحراق الهيكل، ونهب أولادى!

وليست العصمة من صفات الله فى رأى التلمود، لأنه غضب مرة على بنى إسرائيل، فاستولى عليه الطيش، فحلف بحرمانهم من الحياة الأبدية، ولكنه ندم على ذلك بعد أن هدأ غضبه، ولم ينفذ قسمه، لأنه عرف أنه فعل فعلا ضد العدالة !

ويقرر التلمود أن الله هو مصدر الشر.. وأنه أعطى الإنسان طبيعة رديئة، وسن له شريعة لم يستطع بطبيعته الرديئة أن يسير على نهجها، فوقف الإنسان حائرا بين اتجاه الشر فى نفسه، وبين الشريعة المرسومة إليه، وعلى هذا فإن داود الملك لم يرتكب خطيئة بقتله أوريا واتصاله بامرأته ـ كما سبق ـ لأن الله هو السبب فى كل ذلك [٣].

---

(١) المرجع السابق، نقلا عن: الكنز المرصود: ٣٢ ـ٣٣ والتلمود شريعة إسرائيل: ١١ ـ ١٢.

(٢) المرجع السابق : نقلا عن : الكنز المرصود : ٨٧.

(٣) المرجع السابق : ٢٥١ نقلا عن : التلمود شريعة إسرائيل : ١٧ ـ١٩.

أرواح اليـهـود :

وتتميز أرواح اليهود عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله، كما أن الابن جزء من أبيه، ويقول التلمود بالتناسخ، وهو فكر تسرب لبابل من الهند، وأخـذه حاخامات بابل من المجتمع البابلي.

اليـهـود والسـلطـة :

وينص التلمود على أنه يجب على كل يهودى أن يبذل جهده لمنع تسلط باقى الأمم فى الأرض، لتصير السلطة لليهود وحدهم، فإذا لم تكن لهم السلطة عدوا كأنهم فى حياة النفى والأسر، ويعيش اليهود فى حرب مع باقى الشعوب، حتى ينتقل لهم الثراء والسلطان من الجميع، وحينئذ يدخل أفواجا فى دين اليهود، ويُقبلون جميعا، ما عدا المسيحيين، لأن هؤلاء من نسل الشيطان!(١).

غـيـر اليهـود :

وجاء فى التلمود أن الإسرائيلى معتبر عند الله أكثر من الملائكة، وأن اليهودى جزء من الله، فإذا ضرب أمىٌّ إسرائيليا، فكأنه ضرب العزة الإلهية، والفرق بين درجة الإنسان والحيوان، هو بقدر الفرق بين اليهود وغير اليهود، ولليهودى فى الأعياد أن يطعم الكلب، وليس له أن يطعم غير اليهود، والشعب المختار هم اليهود فقط، أما باقى الشعوب فهم حيوانات، ولما قدّم بختنصر ابنته إلى زعيم اليهود ليتزوجها، قال له هذا الزعيم: إنى يهودى ولست من الحيوانات، ويعتبر اليهود غير اليهود أعداء لهم،ولا يجيز التلمود أن يشفق اليهود على أعدائهم ، ويلزم التلمود بنى إسرائيل أن يغشوا سواهم.. ويمنع التلمود اليهود أن يحيّوا غير اليهود ما لم يخشوا ضررهم، ويجيز استعمال النفاق مع غير اليهود، ولا يجيز أن يقدم اليهود صدقة لغير اليهود!(٢).

اليهــود والتملـك :

ولما كان التلمود يقرر أن اليهود أجزاء من الله، فإن اليهود لذلك يعتبرون مالكين لكل ما فى الأرض من ثراء بالنيابة عن الإله ، وقد جاء فى وصايا موسى : « لا تسرق مال القريب » . وفسر علماء اليهود هذه الوصية بجواز أن يسرق اليهودى مال الغريب، أى

(١) المرجع السابق : ٢٥٢ نقلا عن : الكنز المرصود: ٤٨ ـ ٤٩.

(٢) المرجع السابق : نقلا عن : الكنز المرصود: ٥١ ـ ٥٥ والتلمود شريعة إسرائيل: ٢٥.

غير اليهودى، فسلب ماله ليس مخالفا للوصايا، وسار الفكر اليهودى فى التلمود على هذا النحو، فعدت سرقة اليهودى من غير اليهودى استردادا لأموال اليهود من سالبيها، وأجاز علماء التلمود أن يبيع اليهودى ليهودى شيئا يملكه غير يهودى، وللمشترى أن يتخذ الوسائل لوضع يده على ما اشتراه، ويساعده كل اليهود ليحصل على حقه، وجاء فى التلمود نص يشرح هذه الفكرة شرحا وافيا، وهو: إن مثل بنى إسرائيل كمثل سيدة فى منزلها، يحضر لها زوجها النقود فتأخذها وتنفقها دون أن تشترك معه فى الشغل والتعب، فعلى الأمميين أن يعملوا، ولليهود أن يأخذوا نتاج هذا العمل!

ومن الوسائل التى يصطنعها اليهود ليستولوا على ثروات العالم الغش الذى أجاز التلمود استعماله مع غير اليهود ، فى حالة البيع أو الشراء ، وقال الحاخام « رشى » : « مصرح لليهودى أن يغش غير اليهودى، ويحلف له أيمانا كاذبة»!

ومن الوسائل أيضا عدم رد الأشياء المفقودة، فقد جاء فى التلمود أن الله لا يغفر ذنبا ليهودى يرد للأممى ماله المفقود!

ومن الوسائل كذلك الربا الذى أجاز التلمود استعماله مع غير اليهود، فقد جاء فى التلمود: « غير مصرح لليهودى أن يقرض الأجنبى إلا بالربا » [(١)].

مشروعية القتل:

وليست لأرواح غير اليهود حرمة لدى اليهود، فقد جاء فى التلمود: محرم على اليهودى أن ينجي أحدا من الأمميين من هلاك أو يخرجه من حفرة يقع فيها، بل إذا رآى أحد الأمميين يقع فى حفرة لزمه أن يسدها بحجر!

وقال« ميمانود»: الشفقة ممنوعة بالنسبة لغير اليهودى ، فإذا رأيته واقعا فى نهر أو مهددا بخطر فيحرم عليك أيها اليهودى أن تنقذه، لأن السكان الذين كانوا فى أرض كنعان وقضت التوراة بقتلهم جميعا لم يقتلوا عن آخرهم، بل هرب بعضهم واختلط بباقى أمم الأرض، ولذلك يلزم قتل غير اليهودى، لاحتمال أن يكون من هؤلاء الهاربين !

وينص التلمود على أن من العدل أن يقتل اليهودى كل أممى، لأنه بذلك يقرب قربانا إلى الله ![(٢)].

---

(١) المرجع السابق : ٢٥٣ نقلا عن : الكنز المرصود: ٥٦، ٦٥ « موجز » ، والتلمود شريعة إسرائيل : ٣٢ وما بعدها.

(٢) المرجع السابق : ٢٥٤ نقلا عن : الكنز المرصود : ٦٦ ـ ٧٧ والتلمود شريعة إسرائيل : ٤٠ ـ ٤١.

اغتصاب النساء:

وإتيان زوجات الأجانب جائز فى التلمود، واستنتج من ذلك الحاخام « رشى » أن اليهودى لا يخطىء إذا تعدى على عرض الأجنبى، لأن كل عقد نكاح عند الأجانب فاسد، لأن المرأة التى لم تكن من بنى إسرائيل هى كبهيمة، والعقد لا يوجد مع البهائم وما شاكلها، وقد أجمع على هذا الرأى الحاخامات « بشاى وليفى وجرسون » فلا يرتكب اليهودى محرّما إذا أتى امرأة مسيحية، وقال « ميمانود» إن لليهود الحق فى اغتصاب النساء الغير مؤمنات، أى الغير يهوديات(١).

القسم فى التلمود :

وينص التلمود على أن اليمين التى يقسم بها اليهودى فى معاملاته مع باقى الشعوب لا تعتبر يمينا، إذ كأنه أقسم لحيوان، والقسم لحيوان لا يعد يمينا، فإذا اضطر اليهودى أن يحلف لمسيحى فله أن يعتبر ذلك القسم كلا شىء، ويجوز لليهودى الحلف زورا إذا حول اليمين لوجهة أخرى، وبخاصة إذا كانت اليمين إجبارية، كأن تكون أمام المحاكم، أو أمام خصم قوى !

وإذا سرق يهودى أجنبيا، وكلفت المحكمة اليهودى أن يحلف اليمين حلف زورا، ويعين التلمود يوما كل فترة يسمى« يوم الغفران العام » وفيه يُمحى كل ما ارتكبه اليهود من ذنوب، ومن ضمنها الأيمان الزور (٢).

تدمير الهيكل :

يقول الأستاذ ظفر الإسلام خان(٣) : يزعم اليهود أن لهم حق العودة إلى فلسطين، لأنهم أخرجوا من ديارهم مكرهين، وطردوا من بلادهم بالقوة. لكن التلمود يكذب كليا مزاعمهم هذه. فرواية التلمود تؤكد أن الرب أخرج اليهود من ديارهم بمشيئته وإرادته. وفيما يلى تسجيل التلمود لواقعة السبى البابلى وتدمير الهيكل الأصلى :

« عندما بلغت ذنوب إسرائيل مبلغا، وفاقت حدود ما يطيقه الإله العظيم، وعندما رفضوا أن ينصتوا لكلمات وتحذير« إرمياه » ترك النبى « إرمياه » أورشليم، وسافر إلى بلاد

---

(١) المرجع السابق ،،نقلا عن : الكنز المرصود : ٧١ والتلمود شريعة إسرائيل : ٤٤ ـ ٦٥.

(٢) المرجع السابق : ٢٥٥ نقلا عن الكنز المرصود : ٧٤ ـ ٧٦ والتلمود شريعة إسرائيل: ٤٥ ـ ٤٦.

(٣) التلمود : تاريخه وتعاليمه : ٦٦ وما بعدها بتصرف .

« بنيامين ». وطالما كان النبى لا يزال فى المدينة المقدسة كان يدعو للرحمة عليها، فنجت، ولكنه عندما هجرها إلى بلاد « بنيامين » دمر « نبوخذ نصر » بلاد إسرائيل، وحطم الهيكل المقدس، ونهب مجوهراته، وتركه فريسة للنيران الملتهبة، وكان « نبوذردان » الذى آثر البقاء فى « ريبلاه » قد أرسل « نبوخذ نصر » لتدمير « أورشليم ».

وقبل أن يبدأ « نبوخذ نصر » حملته العسكرية سعى لمعرفة نتائج الحملة بواسطة الإشارات، نظرا لذهوله من الموقف، فرمى من قوسه نحو الغرب، فسارت السهم فى اتجاه « أورشليم »، ثم رمى مرة أخرى نحو الشرق ، ولكن السهم اتجه نحو « أورشليم » ، ثم رمى مرة أخرى ، ليتأكد من محل وقوع المدينة المذنبة التى وجب تطهيرها من الأرض ، وللمرة الثالثة اتجهت سهمه نحو « أورشليم ».

وبعد أن استولى « نبوخذ نصر » على المدينة توجه مع أمرائه وضباط جيشه إلى داخل الهيكل وصاح ساخرا مخاطبا إله إسرائيل:

« وهل أنت الإله العظيم الذى يرتعد أمامه العالم؟ ها نحن فى مدينتك ومعبدك!»

ووجد « نبوخذ نصر» علامة لرأس سهم على أحد جدران الهيكل، كأن أحدا قتل أو أصيب بها، فسأل:« من قتل هنا ؟» فأجاب الشعب :

« زكريا بن يهودياه » ، كبير الكهنة ، لقد كان يحذرنا فى كل ساعة من حساب « عقاب » اعتداءاتنا « الوصايا »، وقد سئمنا من كلماته، فانتهينا منه .

فذبح جنود« نبوخذ نصر » سكان أورشليم ، كهنتها وشعبها ، كهولها وشبابها ، ونساءها وأطفالها، وعندما شاهد كبير الكهنة هذا المنظر ألقى بنفسه فى النار التى أشعلها « نبوخذ نصر » فى الهيكل، وتبعه بقية الكهنة مع عودهم وآلاتهم الموسيقية الأخرى !

ثم ضرب جنود « نبوخذ نصر » السلاسل الحديدية فى أيدى باقى الإسرائيليين وساقوهم إلى السبى .

ورجع إرمياه النبى إلى أورشليم، وصحب إخوانه البؤساء ، الذين خرجوا عرايا تقريبا، وعند وصولهم إلى مدينة تسمى « بيت كورو » هيأ لهم إرمياه ملابس جيدة. وتكلم مع « نبوخذ نصر » والكلدانيين قائلا لهم: « لا تظن أنك بقوتك وحدها استطعت أن تتغلب على شعب الرب المختار، إنها ذنوبهم الفاجرة التى ساقتهم إلى هذا العذاب » .

وعندما هم « نبوخذ نصر » بقتل جميع الإسرائيليين ، لأنهم رفضوا أن يغنوا أمامه الأغاني التي طالما غنوها في الهيكل ، جرت محادثة بين « بيلاطيا » ابن يهوياداه أخ النبي « زكريا » قال فيها :

« لقد أعطى الله إسرائيل في يدك، وأنت الآن مسئول أمامه عمن تقتلهم » (١) .

ويتضح من هذه الشهادة التي نقلناها دون أي تصرف في الترجمة أن طرْدَ اليهود من فلسطين وتدمير الهيكل الأصلي الذي بناه سليمان عليه السلام كان بمشيئة الله، وأن الدعاوى اليهودية ليست إلا استغلالا وكذبا وبهتانا بدون أساس، ويتضح هذا أكثر مما جاء على لسان الحاخام « أوشايا » :

« عمل الرب خيرا لإسرائيل، عندما شتت أبناء إسرائيل بين الأمم » (٢).

والجدير بالذكر أن هذه هي الفكرة التي كانت تسود الفكر اليهودي حتى القرن التاسع عشر، إلى أن ظهرت بدعة الصهيونية التي نادت لأول مرة بالعمل لإقامة دولة يهودية، ولم يكن قادة الصهيونية ـ كما سيأتي ـ قد اتفقوا فيما بينهم أول الأمر، على الأرض التي تقام عليها دولتهم اليهودية، في أوغندا، أو الأرجنتين، أو البرازيل، أو جنوب أفريقيا، أو الجزء الأوربي من تركيا، أو العراق، أو سيناء، أو استراليا؟!

وكانت خريطة أوغندا تزين منصة المؤتمرات الصهيونية حتى سنة ١٩٠٤م.

وكان هناك في أول الأمر خلاف شديد بين اليهود حول العمل لإقامة دولة يهودية، إذ كان اليهود المتدنيون يؤمنون بأن عودتهم إلى فلسطين ستتحقق بمجيئ المسيح !

حتى ذلك الوقت لم تكن علاقة اليهود بفلسطين أكثر من علاقة روحية.. (٣).

والحقيقة أن الحركة الصهيونية السياسية لم تتمكن من الاستيلاء على فلسطين إلا بسبب أطماع أعداء الإسلام في بقاء الاستعمار، وفي المقدمة بريطانيا، ولإحلال قوم غرباء في منطقة كانت ستشهد عما قريب حركة وحدوية غير عادية، بسبب العلاقات التي تربط بين الشعب الذي يعيش من الخليج العربي إلى المحيط الأطلسي.

وقد ساعدت الكراهية العمياء، والنزعة الصليبية الحاقدة، لدى أوربا وما شايعها على

---

(١) انظر المرجع السابق : ٦٨ هامش . (٢) انظر المرجع السابق : ٦٩ هامش.

(٣) انظر المرجع السابق : ٧٠ هامش .

نجاح المخطط، ولا أدل على ذلك من الروح التى كانت تسيطر على القواد الذين غزوا البلاد العربية فى الحرب العالمية الأولى، حيث نرى القائد الفرنسى « الجنرال غوروا» الذى دخل دمشق يقول، وقد وضع رجله على قبر صلاح الدين:

« ها نحن عدنا يا صلاح الدين »!

ونرى « الجنرال اللنبى » عند دخوله القدس يقول أمام كنسية القيامة:

« اليوم قد انتهت الحروب الصليبيـة»!

ويسميها الصهيونى « إسرائيل زانجويل » بأنها :

« الحرب الصليبيـة الثامنـة » !

الديـن التـلمودى والهنـدوسيـة :

ويقول الأستاذ ظفر الإسلام خان: خلال بحثى فى الدين التلمودى وجدت أن هناك أوجه تشابه عديدة بين معتقدات التلمود والهندوسية ، ومنها :

أولا: يعتقد التلمود أن اليهود الذين يرتدون عن دينهم بقتلهم يهوديا آخر لا يدخلون الجنة، وإنما « تدخل أرواحهم فى الحيوانات والنباتات، ثم تذهب إلى الجحيم، وتعذب عذابا أليما مدة اثنى عشر شهرا، ثم تعود ثانية لتدخل فى الجمادات، ثم فى الحيوانات، ثم فى الوثنيين، حتى ترجع إلى جسد يهودى بعد تطهيرها»[1].

وعقيدة « التناسخ » هذه موجودة أيضا فى الديانة الهندوسية .

ثانيـا: اليهـود يقدسـون المـال إلى أبعـد الحـدود ، والهندوس اتـخـذوا للمال آلهـة تسمـى « لاكشمى » .

ثالثا: اخترع السامرى اليهودى عجلا ليعبده قومه، ومن الهندوس من يعبد أو يقدس البقر .

رابعا: اليهود يعتقدون أن غير اليهود نجسون، ولا يمكن لليهودى أن يدخلهم إلى بيته، أو يأكل عندهم، وليس له أن يتعامل معهم إلا بغرض التجارة [2].

---

(١) الكنز المرصود فى قواعد التلمود : مبحث أرواح اليهود والمسيحيين.

(٢) انظـر : المرجع السابق : الفصل السادس الأجانب.

والهندوس أيضا يؤمنون بنفس العقيدة القاضية بنجاسة غيرهم ، بمن فيهم المنبوذون والمسلمون والمسيحيون وغيرهم . ولا يزال بعضهم، والفلاحون منهـم ، يباشرون فى حياتهم هذه العقيدة، فهم لا يأكلون ولا يشربون مع مؤمنى الأديان الأخرى أو المنبوذين، اللهم إلا الذين تعلموا وتنوروا منهم، وهم لا يزالون قلة (١).

خامسا: يرى اليهود أن تربة فلسطين طاهرة، وهم يدفنون المتدينين من موتاهم فى أرض فلسطين منذ قديم الزمان، وإن لم يتسير لهم ذلك، يضعون مع الكفن شيئا من التراب جلبوه من فلسطين (٢).

والهندوس أيضا يفعلون ما يماثل ذلك، فهم يضعون رماد موتاهم فى نهر الكنج المقدس بغض النظر عن أى مكان من الأرض مات فيه هؤلاء، وإن لم يتيسر لهم ذلك، يضعون قطرات من ماء نهر الكنج فوق الكفن قبل حرق الجثة.

وهذه الجوانب المتماثلة بين العقيدتين تؤكد أن هنالك علاقة بينهما، وهذا جانب يستحق الدراسة والبحث.

خرافات التلمود :

ويزخر التلمــود بشتى أنواع الخرافات.. منها :

التنجيم :

يقول التلمود: « إن كسوف الشمس آية سوء للشعوب، وخسوف القمر آية سوء لبنى إسـرائيل ، لأن إسـرائيل تعتمد فى بقائهـا على القمـر، وشـعوب الأرض تعتمـد على الشمس » (٣).

ويعتقد أصحاب التلمود اعتقادا جازما بأن التنجيم علم يتحكم فى حياة الإنسان.

يقول الحاخام « شانينا » : « إن تأثير النجوم يجعل الإنسان ذكيا، وتأثيرها يجعله ثريا، وبنو إسرائيل تحت تأثير النجوم » .

---

(١) مما يجدر ذكرة أن المهاتما غاندى شن حملة شعواء ضد هذه المعتقدات.

(٢) انظر التلمود: تاريخه وتعاليمه : ٧٢ هامش.

(٣) المرجع السابق : ٧٥ هامش وفيه : لعل هذه الأسطورة هى التى ساقت الحاخامات إلى اختلاق قصة القمر الذى قال لله: «إنك خلقتنى صغيرا ..!».

ومع ذلك النص التلمودى، يعترض الحاخام« يوحنا» على الحاخام « شانينا » قائلا:«بنو إسرائيل ليسوا تحت تأثير النجوم . من أين تثبت هذا؟ لقد قال ربك:« لا تتعلم طريق الوثنيين، ولا تفزعك آيات السماء، لأن الوثنيين أفزعتهم آياتها » (١).

السحر :

والتلمود يمتلىء بطقوس السحر والشعوذة والعرافة، ويعتقد بوجود العفاريت، وأن الأرواح الشريرة والشياطين والعفاريت والجنيات من ذرية آدم، وهؤلاء يطيرون فى كل اتجاه، ويعرفون أحوال المستقبل باستراق السمع فى السماء، ويضرب لهم مثلا بـ « الرجال الذين يلعبون الحيل المنحرفة » (٢).

ويمنع الناس من أن يركبوا على ظهور الثيران التى كانت مربوطة فى كشك داخلى ، لأن الشيطان يرقص بين قرنى الثور فى المربط، كما يمنعهم من السلام على أصدقائهم فى الليل ، خوفا من أن يسلموا على الشياطين والعفاريت !

ويأمرهم أن يريقوا بعض الماء من الإناء قبل أن يشربوا منه، للنجاة مما رشفت منه الأرواح الشريرة، وأن يستشيروا الشيطان فى آخر أيام الأسبوع« الجمعة» والتلمود يورد كثيرا من حيل الشيطان الذى جعل كثيرين، بواسطة تلك الحيل، يتركون قراءة القانون، ثم تمكن من نزع أرواحهم .

أصل السحر الذى يعمل به اليهود :

وهنا نقرأ قوله تعالى :

﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ (٣) .

---

(١) الأدب العبرى : ١٨.

(٢) التلمود : تاريخه وتعاليمه: ٧٦ وما بعدها بتصرف.

(٣) البقرة : ١٠٢.

قال الحافظ [1] : فى هذه الآية بيان أصل السحر الذى يعمل به اليهود، ثم هو مما وضعته الشياطين على سليمان بن داود عليه السلام، ومما أنزل على هاروت وماروت بأرض بابل .

والثانى متقدم العهد على الأول، لأن قصة هاروت وماروت كانت من قبل زمن نوح عليه السلام، على ما ذكر ابن إسحاق وغيره.

وكان السحر موجودا فى زمن نوح، إذ أخبر الله عن قوم نوح أنهم زعموا أنه ساحر!

وكان السحر أيضا فاشيا فى قوم فرعون، وكان ذلك قبل سليمان.

سبب النزول :

واختلف فى المراد بالآية، فقيل: إن سليمان كان جمع كتب السحر والكهانة فدفنها تحت كرسيه، فلم يكن أحد من الشياطين يستطيع أن يدنو من الكرسى، فلما مات سليمان وذهبت العلماء الذين يعرفون الأمر، جاءهم شيطان فى صورة إنسان فقال لليهود: هل أدلكم على كنز لا نظير له ؟

قالوا : نعم .

قال: فاحفروا تحت الكرسى، فحفروا وهو متنحّ عنهم، فوجدوا تلك الكتب، فقال لهم: إن سليمان كان يضبط الإنس والجن بهذا، ففشا فيهم أن سليمان كان ساحرا. فلما نزل القرآن بذكر سليمان فى الأنبياء أنكرت اليهود ذلك وقالوا: إنما كان ساحرا، فنزلت هذه الآية. أخرجه الطبرى وغيره عن السدى.

ومن طريق سعيد بن جبير بسند صحيح نحوه.

ومن طريق عمران بن الحارث عن ابن عباس موصولا بمعناه.

وأخرج من طريق الربيع بن أنس نحوه، ولكن قال: إن الشياطين هى التى كتبت كتب السحر ودفنتها تحت كرسيه، ثم لما مات سليمان استخرجته وقالوا: هذا العلم الذى كان سليمان يكتبه للناس .

---

(١) فتح البارى : ١٠: ٢٢٣.

وأخرجه من طريق محمد بن إسحاق، وزاد أنهم نقشوا خاتما على نقش خاتم سليمان، وختموا به الكتاب، وكتبوا عنوانه:

« هذا ما كتب آصف بن برخياء الصديق للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم».

ثم دفنوه، فذكر نحو ما تقدم.

وأخرج من طريق العوفى عن ابن عباس نحو ما تقدم عن السدى، ولكن قال: إنهم لما وجدوا الكتب قالوا: هذا مما أنزل الله على سليمان فأخفاه منا.

وأخرج بسند صحيح عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: انطلقت الشياطين فى الأيام التى ابتلى فيها سليمان، فكتبت كتبا فيها سحر وكفر، ثم دفنتها تحت كرسيه، ثم أخرجوها بعده فقرءوها على الناس.

وملخص ما ذكر فى تفسير هذ الآية أن المحكى عنهم أنهم اتبعوا ما تتلو الشياطين، هم أهل الكتاب، إذ تقدم قبل ذلك فى الآيات إيضاح ذلك.

نبذ اليهود كتاب الله :

والجملة معطوفة على مجموع الجمل السابقة من قوله تعالى :

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١).

وكان هذا مظهرا من مظاهر نقض فريق من الذين أوتوا الكتاب لكل عهد يعاهدونه (٢) ، فلقد كان ضمن الميثاق الذى أخذه الله عليهم أن يؤمنوا بكل رسول يبعثه، وأن ينصروه ويحترموه .

فلما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم، خاسوا بذلك العهد، ونبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم ، يستوى فى هذا النبذ كتاب الله الذى معهم، والذى يتضمن البشرى بهذا النبى وقد نبذوه، والكتاب الجديد مع النبى الخاتم وقد نبذوه أيضا !

---

(١) البقرة : ١٠١.

(٢) فى ظلال القرآن : ١: ٩٤ بتصرف.

وفى الآيــة ما فيها من سخرية خفية، يحملها ذلك النص على أن الذين أوتوا الكتاب هم الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم. فلو كانوا هم المشركين الأميين لكان نبذهم لكتاب الله وراء ظهورهم مفهوما!

ولكنهم هم الذين أوتوا الكتاب.. هم الذين عرفوا الرسالات والرسل.. هم الذين اتصلوا بالهدى والنور.. وماذا صنعوا؟

إنهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم!

والمقصود طبعا أنهم جحدوه وتركوا العمل به، وأنهم أبعدوه عن مجال تفكيرهم وحياتهم!

ولكن التعبير المصور ينقل المعنى من دائرة الذهن إلى دائرة الحس ، ويمثل عملهم بحركة مادية متخيلة، تصور هذا التصرف تصويرا بشعا زريا، ينضح بالجحود والكنود ، ويتسم بالغلظة والحماقة، ويفيض بسوء الأدب والقحة، ويدع الخيال يتملى هذه الحركة العنيفة. حركة الأيدى تنبذ كتاب الله وراء الظهور !

اشــتغـالهـم بالســحـر :

ثم ماذا ؟

ماذا بعد أن نبذوا كتاب الله المصدق لما معهم ؟

ألعلهــم قد لاذوا بما هو خير منه ؟

ألعلهم قد لجأوا إلى حق لا شبهة فيه ؟

ألعلهم قد استمسكوا بكتابهم الذى جاء القرآن يصدقه؟

كلا.. لا شيء من هذا كلـه!

إنهم نبذوا كتاب الله وراء ظـهورهم ليجروا وراء أساطير غامضة، لا تستند إلى حقيقة ثابتة !

لقد تركوا ما أنزل الله مصدقا لما معهم، وراحوا يتتبعون ما يقصه الشياطين على عهد سليمان، وما يضلون به الناس من دعاوى مكذوبة عن سليمان، إذ يقولون: إنه كان ساحرا، وأنه سخر ما سخر عن طريق السحر الذى كان يعلمه ويستخدمه !

فى ظلال الآيـة :

وإذا كنا قد عرفنا أصل السحر الذى يعمل به اليهود، وسبب نزول قوله تعالى :

﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ﴾ الآية.

فإن ذلك يدفعنا إلى ضرورة أن نذكر بإيجاز أقوال العلماء فيها، وفق ما يلى:

يقول ابن جرير:

يعنى بقوله: الفريق من أحبار اليهود وعلمائها (١) الذين وصفهم الله جل ثناؤه بأنهم نبذوا كتابه الذى أنزله على موسى وراء ظهورهم، تجاهلا منهم وكفرا بما هم به عالمون، كأنهم لا يعلمون، فأخبر عنهم أنهم رفضوا كتابه الذى يعلمون أنه منزل من عنده على نبيه ﷺ، ونقضوا عهده الذى أخذه عليهم فى العمل بما فيه، وآثروا السحر الذى تلته الشياطين فى ملك سليمان بن داود فاتبعوه، وذلك هو الخسار والضلال المبين.

واختلف أهل التأويل.. فقال بعضهم: عنى الله بذلك اليهود الذين كانوا بين ظهرانى مهاجر رسول الله ﷺ، لأنهم خاصموا رسول الله ﷺ، بالتوراة ، فوجدوا التوارة للقرآن موافقة ، تأمر من اتباع محمد ﷺ وتصديقه بمثل الذى يأمر به القرآن، فخاصموا بالكتب التى كان الناس اكتتبوها من الكهنة على عهد سليمان.. وقال آخرون: بل عنى الله بذلك اليهود الذين كانوا على عهد سليمان..

والصواب أن ذلك توبيخ من الله لأحبار اليهود الذين أدركوا رسول الله ﷺ، فجحدوا نبوته وهم يعلمون أنه لله رسول مرسل، وتأنيب منه لهم فى رفضهم تنزيله، وهجرهم العمل به وهو فى أيديهم يعلمونه ويعرفونه ويعرفون أنه كتاب الله، واتباعهم واتباع أوائلهم وأسلافهم ما تلته الشياطين فى عهد سليمان، وقد بينا وجه جواز إضافة أفعال أسلافهم إليهم فيما مضى..

وإنما اخترنا هذا التأويل لأن المتبعة ما تلته الشياطين فى عهد سليمان وبعده إلى أن بعث الله نبيه بالحق وأمر السحرة لم يزل فى اليهود..

وقال ابن حجر فى قوله: (٢).

﴿ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾

---

(١) تفسير الطبرى: ١: ٤٤٤ وما بعدها بتصرف.

(٢) فتح البارى: ١٠: ٢٢٤.

« ما » موصولة على الصواب ، وغلط من قال: إنها نافية، لأن نظم الكلام يأباه ، و « تتلو » لفظه مضارع، لكن هو واقع موقع الماضى، وهو استعمال شائع، ومعنى« تتلو » تتقوّل، ولذا عداه بعلى، وقيل: معناه تتبع أو تقرأ، ويحتاج إلى تقدير، قيل: هو تقرأ على زمان ملك سليمان.

قال ابن جرير[1] : والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن الله عز وجل أخبر عن الذين أخبر عنهم أنهم اتبعوا ما تتلو الشياطين على عهد سليمان باتباعهم ما تلته الشياطين ، ولقول القائل: هو يتلو كذا فى كلام العرب معنيان :

أحدهما : الاتباع ، كما يقال: تلوت فلانا، إذا مشيت خلفه، وتبعت أثره، كما قال جل ثناؤه :

﴿ هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ﴾ [2].

يعنى بذلك تتبع.

والآخر: القراءة والدراسة، كما تقول: فلان يتلو القرآن، بمعنى أنه يقرؤه ويدرسه، كما قال حسان بن ثابت:

نبى يرى ما لا يرى الناسُ حوله ويتلو كتاب الله فى كل مَشْهَد

ولم يخبرنا الله جل ثناؤه بأىّ معنى التلاوة كانت تلاوة الشياطين الذين تَلوا ما تلَوه من السحر على عهد سليمان بخبر يقطع العذر.

وقد يجوز أن تكون الشياطين تلت ذلك دراسة ورواية وعملا، فتكون كانت متبعته بالعمل، ودارسته بالرواية، فاتبعت اليهود منهاجها فى ذلك وعملت به وروته.

ونقل ابن كثير عن ابن أبى حاتم عن الحسن أنه قال: ثلث: الشعر، وثلث: السحر، وثلث: الكهانة.

وقال فى قوله : ﴿ **على ملك سليمان** ﴾ .

وتبعته اليهود على ملكه، وكان السحر قبل ذلك فى الأرض، ولم يزل بها، ولكنه إنما اتبع على ملك سليمان.

---

(١) تفسير الطبرى: ١:٤٤٧ ـ٤٤٨.

(٢) يونس : ٣٠.

قال ابن كثير: أى واتبعت اليهود الذين أوتوا الكتاب من بعد إعراضهم عن كتاب الله الذى بين أيديهم، ومخالفتهم لرسول الله محمد ﷺ ما تتلوه الشياطين، أى ما ترويه وتخبر به، وتحدثه الشياطين على ملك سليمان، وعداه بعلى، لأنه تضمن« تتلو »تكذب(١).

قال ابن جرير: «على» بمعنى «فى» (٢).

قال ابن كثير: والتضمن أحسن وأولى.

وقول الحسن البصرى رحمه الله: وكان السحر قبل زمان سليمان بن داود صحيح لا شك فيه، لأن السحرة كانوا فى زمان موسى عليه السلام، وسليمان بن داود بعده، كما قال تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَاءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى ﴾ (٣).

ثم ذكر القصة بعدها، وفيها:

﴿ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ (٤).

وقال قوم صالح، وهم قبل إبراهيم الخليل عليه السلام، لنبيهم صالح:

﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴾ (٥).

أى المسحورين، على المشهور(٦).

وقال ابن حجر فى قوله تعالى:

﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾

« ما » نافية جزما (٧).

وقوله:

﴿ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ﴾

هذه الواو عاطفة لجملة الاستدراك على ما قبلها.

---

(١) تفسير ابن كثير: ١: ١٣٦.
(٢) انظر تفسير الطبرى: ١: ٤٤٨.
(٣) البقرة: اية ٢٤٦.
(٤) البقرة: ٢٥١.
(٥) الشعراء: ١٥٣.
(٦) تفسير ابن كثير: ١: ١٣٦.
(٧) فتح البارى: ١٠: ٢٢٤.

وقال ابن جرير فى تأويل قوله (١).

﴿ وما كفر سليمان.. ﴾ .

إن قال لنا قائل: وما هذا الكلام من قوله:

﴿ واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ﴾ .

ولا خبر معنا قبل عن أحد أنه أضاف الكفر إلى سليمان، بل إنما ذكر اتباع من اتبع من اليهود ما تلته الشياطين، فما وجه نفى الكفر عن سليمان بعقب الخبر عن اتباع من اتبعت الشياطين فى العمل بالسحر وروايته من اليهود؟

قيل: وجه ذلك أن الذين أضاف الله جل ثناؤه إليهم اتباع ما تلته الشياطين على عهد سليمان من السحر والكفر من اليهود، نسبوا ما أضافه الله تعالى ذكره إلى الشياطين من ذلك إلى سليمان بن داود، وزعموا أن ذلك كان من علمه وروايته، وأنه إنما كان يستعبد من يستعبد من الإنس والجن والشياطين وسائر خلق الله بالسحر، فحسنوا بذلك من ركوبهم ، ما حرم الله عليهم من السحر لأنفسهم عند من كان جاهلا بأمر الله ونهيه ، وعند من كان لا علم له بما أنزل الله من التوراة، وتبرأ بإضافة ذلك إلى سليمان من سليمان، وهو نبى الله ﷺ منهم بشر، وأنكروا أن يكون كان لله رسولا، وقالوا: بل كان ساحرا، فبرأ الله سليمان بن داود من السحر، عند من كان منهم ينسبه إلى السحر والكفر، لأسباب ادعوها عليه... وأكذب الآخرين الذين كانوا يعملون بالسحر، متزينين عند أهل الجهل فى عملهم ذلك بأن سليمان كان يعمله، فنفى الله عن سليمان عليه السلام أن يكون ساحرا أو كافرا، وأعلمهم أنهم إنما اتبعوا فى عملهم السحر ما تلته الشياطين فى عهد سليمان، دون ما كان سليمان يأمرهم من طاعة الله، واتباع ما أمرهم به فى كتابه الذى أنزله على موسى صلوات الله عليه.

﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ﴾

قال القرطبى(٢) : « ما » نفى، والواو للعطف على قوله « وما كفر سليمان » وذلك أن اليهود قالوا: إن الله أنزل جبريل وميكائيل بالسحر، فنفى الله ذلك.

---

(١) تفسير الطبرى : ١:٤٤٨ ـ ٤٤٩.

(٢) تفسير القرطبى: ٢:٥٠

وقال ابن حجر[1] : « مـا » موصولة، ومحلها النصب عطفا على السحر، والتقدير: يعلمون الناس السحر، والمنزل على الملكين،وقيل: الجر عطفا على ملك سليمان أى تقولا على ملك سليمان وعلى ما أنزل، وقيل: بل هى نافية عطفا على« وما كفر سليمان» والمعنى ولم ينزل على الملكين إباحة السحر، وهذان الإعرابان ينبنيان على ما جاء فى تفسير الآية عن البعض، والجمهور على خلافه، وأنها موصولة، ورد الزجاج على الأخفش دعوته أنها نافية، وقال: الذى جاء فى الحديث والتفسير أولى.

وحكى القرطبى عن ابن عباس وابن أَبْزىَ والضحاك والحسن: « الملكين » بكسر اللام. قال ابن أَبْزىَ : هما داود وسليمان . فـ« ما » على هذا القول أيضا نافية ، وضعَّف هذا القول ابن العربى ، وقال الحسـن : هما عِلْجَان كانا ببابل مِلكيـن (بكسـر اللام) ، فـ « ما» على هذا القول مفعولة غير نافية . [2] .

قال ابن كثيـر: وذهب آخـرون إلى الوقف على قوله: « يعلمـون النـاس السـحر» و « ما » نافية . [3] .

﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾

قال ابن حجر : [4] وذلك أن الملكين لايعلمان الناس السحر، بل يعلمانهم به، وينهيانهم عنه ، والأول أشهر، وقد قال على : الملكان يعلمان تعليم إنذار، لاتعليم طلب.

قال ابن كثير: [5] قال أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس، عن قيس بن عباد، عن ابن عباس ، قال :

فإذا أتاهما الآتى يريد السحر نهياه أشد النهى ، وقالا له : « إنما نحن فتنة فلا تكفر » ، وذلك أنهما علما الخير والشر ، والكفر والإيمان ، فعرفا أن السحر من الكفر ، قال : فإذا أبى عليهما أمراه أن يأتى مكان كذا وكذا، فإذا أتاه عاين الشيطان فعلمه فإذا تعلمه خرج منه النور، فنظر إليه ساطعا فى السماء فيقول : ياحسرتاه ! ياويله ! ماذا صنع ؟!

---

(١) فتح البارى : ١٠ : ٢٢٤ وانظر : تفسير الطبرى : ١ : ٤٥٢ وما بعدها ففيه كلام عجيب ! قال ابن كثير : ١ : ١٣٧ وهذا الذى سلكه غريب جدا ، وأغرب منه قول من زعم أن هاروت وماروت قبيلان من الجن ، كما زعمه ابن حزم ! انظر : الفصل : ٣ : ٢٤٩ وما بعدها ، ٤ : ٣٢ وما بعدها .

(٢) تفسير القرطبى : ٢ : ٥٢ .　　(٣) تفسير ابن كثير: ١ : ١٣٧ .　　(٤) فتح البارى: ١٠ : ٢٢٤ .

(٥) تفسير ابن كثير: ١ : ١٤٣، وانظر: الطبري: ١ : ٤٥٥ وما بعدها، والقرطبى : ٢ : ٥٤ وما بعدها .

وعن الحسن البصرى أنه قال فى تفسير هذه الآية:

نعم أنزل الملكان بالسحر، ليعلما الناس البلاء الذي أراد الله أن يبتلي به الناس، فأخذ عليهم الميثاق ألا يعلما أحدا حتى يقولا: « إنما نحن فتنة فلا تكفر » رواه ابن أبى حاتم.

﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾

قال ابن كثير (١) : أى فيتعلم الناس من هاروت وماروت من علم السحر ما يتصرفون به، فيما يتصرفون، من الأفاعيل المذمومة، ما إنهم ليفرقون به بين الزوجين، مع مابينهما من الخلطة والائتلاف، وهذا من صنيع الشياطين،كما رواه مسلم عن الأعمش ، عن أبى سفيان، عن جابر، قال : قال رسول الله ﷺ :

« إن إبليس يضع عرشه على الماء . ثم يبعث سراياه . فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة. يجيء أحدهم فيقول : فعلت كذا ، وكذا . فيقول : ما صنعت شيئا . قال : ثم يجيء أحدهم فيقول ماتركتُه حتى فرَّقت بينه وبين امرأته، فقال : فيدنيه منه، ويقول: نِعْمَ أنت » .

قال الأعمش: أراه قال : « فيلتزِمُه» (٢) .

وسبب التفريق بين الزوجين بالسحر مايخيل إلى الرجل أو المرأة من الآخر، من سوء منظر أو خلق، أو نحو ذلك، أو عقد، أو بغضة، أو نحو ذلك من الأسباب المقتضية للفرقة. والمرء عبارة عن الرجل، وتأنيثه امرأة ، ويثنى كل منهما ، ولا يجمعان .

﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾

قال سفيان الثورى : إلا بقضاء الله . وقال الحسن البصري: نعم ، من شاء الله سلطهم عليه، ومن لم يشأ الله لم يسلط، ولا يستطيعون من أحد إلا بإذن الله، كما قال الله تعالى ، وفي رواية عن الحسن أنه قال: لايضر هذا السحر إلا من دخل فيه .

وقال ابن جرير (٣) : وما المتعلمون من الملكين هاروت وماروت مايفرقون به بين المرء وزوجه، بضارين بالذى تعلموه منهما من المعنى الذى يفرقون به بين المرء وزوجه، من أحد من الناس ، إلا من قضى الله عليه أن ذلك يضره، فأما من دفع الله عنه ضره وحَفِظَه من

---

(١) تفسير ابن كثير: ١: ١٤٣ .

(٢) مسلم : ٥٠ ـ صفات المنافقين ٦٧ (ت ٢٨١٣).

(٣) تفسير الطبرى: ٤٦٣ ـ ٤٦٤ .

مكروه السحر والنفث والرقى ، فإن ذلك غير ضاره ولا نائله أذاه .

وللإذن فى كلام العرب أوجه :

منها : الأمر على غير وجه الإلزام، وغير جائز أن يكون منه قوله:

﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾

لأن الله جل ثناؤه قد حرم التفريق بين المرء وحليلته بغير سحر (١) ، فكيف به على وجه السحر على لسان الأمة ؟

ومنها : التخلية بين المأذون له والمخلى بينه وبينه .

ومنها : العلم بالشىء، يقال منه: قد أذنت بهذا الأمر، إذا علمت به آذن به إذنا، ومنه قوله جل ثناؤه .

﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ (٢).

وهذا هو معنى الآية، كأنه قال جل ثناؤه: « وما هم بضارين » بالذى تعلموا من المكين من أحد إلا بعلم الله، يعنى بالذى سبق له فى علم الله أنه يضره، ونقل عن سفيان فى هذه الآية قال : بقضاء الله .

﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾

قال القرطبى(٣) : « ويتعلمون مايضرهم » يريد فى الآخرة، وإن أخذوا به نفعا فى الدنيا. وقيل: يضرهم في الدنيا، لأن ضرر السحر والتفريق يعود على الساحر فى الدنيا إذا عُثِر عليه، لأنه يؤدب ويزجر، ويلحقه شؤم السحر .

﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾

يقول ابن جرير (٤) : يعنى بقوله جل ثناؤه « ولقد علموا » الفريق الذين لما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم ، نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لايعلمون «واتبعوا ماتتلوا الشياطين على ملك سليمان» فقال جل ثناؤه: لقد علم النابذون من يهود بنى إسرائيل كتابى وراء ظهورهم تجاهلا منهم، التاركون العمل بما فيه، من اتباعك يا محمد ،

---

(١) لعله يقصد : حرم التفريق بغير سحر إلا لداع !

(٢) سورة البقرة: آيه ٢٧٩.

(٣) تفسير القرطبى : ٢: ٥٥ ـ ٥٦ .

(٤) تفسير الطبرى: ١: ٤٦٤ ـ ٤٦٧ بتصرف .

واتباع ما جئت به، بعد إنزالى إليك كتابى، مصدقا لما معهم، وبعد إرسالك إليهم بالإقرار بما معهم،وما فى أيديهم، المؤثرون عليه اتباع السحر الذى تلته الشياطين على عهد سليمان، والذى أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت لمن اشترى السحر لكتابى الذى أنزلته على رسولى فآثره عليه ماله فى الآخرة من خلاق، ونقل عن قتادة قوله: قد علم ذلك أهل الكتاب فى عهد الله إليهم أن الساحر لا خلاق له عند الله يوم القيامة.

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله « ما له فى الآخرة من خلاق » فقال بعضهم : الخلاق فى هذا الموضع : النصيب.. وقال آخرون: الحجة.. وقال آخرون: الدِّين.. وقال غيرهم : القِوام.

ثم قال: ماله فى الدار الآخرة حظ من الجنة، من أجل أنه لم يكن له إيمان ولا دين، ولا عمل صالح يجازى به فى الجنة، ويثاب عليه، فيكون له حظ ونصيب من الجنة، وإنما قال جل ثناؤه:« ماله فى الآخرة من خلاق» فوصفه بأن لا نصيب له فى الآخرة، وهو يعنى به لا نصيب له من جزاء وثواب وجنة دون نصيبه من النار، إذ كان قد دل ذمه جل ثناؤه أفعالهم التى نَفَى من أجلها أن يكون لهم فى الآخرة نصيب على مراده من الخير، وأنه إنما يعنى بذلك أنه لا نصيب لهم فيها من الخيرات، وأما الشرور فإن لهم فيها نصيباً.

﴿ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾

يقول ابن كثير(١) : ولبئس البديل ما استبدلوا به السحر عوضا عن الإيمان، ومتابعة الرسول ، لو كان لهم علم بماوُعظوا به.

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾

أى ولو أنهم آمنوا بالله ورسله، واتَّقَوا المحارم، لكان مثوبة الله على ذلك خيرا لهم مما استخاروا لأنفسهم ورضوا به.

ويقول ابن جرير(٢) : لو أن الذين يتعلمون من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه آمنوا، فصدّقوا الله ورسوله، وما جاءهم به من عند ربهم، واتقوا ربهم فخافوه، فخافوا عقابه، فأطاعوه بأداء فرائضه، وتجنبوا معاصيه، لكان جزاء الله إياهم وثوابه لهم على إيمانهم

---

(١) تفسير ابن كثير : ١٤٤:١.

(٢) تفسير الطبرى: ٤٦٨:١.

به وتقواهم إياه خيرا لهم من السحر، وماا كتسبوا به، لو كانوا يعلمون أن ثواب الله إياهم على ذلك خير لهم من السحر، ومما اكتسبوا به، وإنما نفى بقوله: «لو كانوا يعلمون» العلم عنهم أن يكونوا عالمين بمبلغ ثواب الله وقدر جزائه على طاعته.

السحر فى بعض أنواعه كفر ومتعلمه كافر :

قال ابن حجر(١) : وقد استدل بهذه الآية على أن السحر كفر، ومتعلمه كافر، وهو واضح فى بعض أنواعه.. وهو التعبد للشياطين أو الكواكب .

قلت: وقد ذكرت الأقوال فى أنواع السحرالثمانية:ومتى يجوز تعلم السحر وتعليمه، وما يتبع ذلك من مباحث، فى كتاب« السحر والسحرة فى ضوء الحديث النبوى» فليراجعه من شاء.

من السبع الموبقات :

قال ابن حجر: قال النووى: عمل السحر حرام، وهو من الكبائر بالإجماع، وقد عده النبى ﷺ من السبع الموبقات.

يروى الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

« اجتنبوا السبع الموبقات »

قالوا: يا رسول الله! وما هن؟ قال:

« الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولى يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات» (٢).

وحسبنا من تلك الأقوال التى يبدو فيها الاختلاف.. وهى قليل من كثير.. وهى كذلك أرجحها.. حسبنا أنها تسجل ضلالة أخرى من ضلالات اليهود، إثر نبذهم كتاب الله والعمل بما بين أيديهم، وهو اتباعهم لما تتلو الشياطين.. واشتغالهم بالسحر.. بل وسحرهم الرسول الحبيب المحبوب ﷺ ..

حديث السحر :

يروى الشيخان وغيرهما عن عائشة رضى الله عنهما قالت:

---

(١) فتح البارى : ١٠ : ٢٢٤.

(٢)البخارى: ٥٥ــ الوصايا (٢٧٦٦) ، ومسلم: ١ــ الإيمان ١٤٥ (٨٩).

سَحَرَ رسول الله ﷺ رجل من بنى زريق، يقال له: لبيد ابن الأعصم، حتى كان رسول الله ﷺ يخيّل إليه أنه كان يفعل الشىء وما فعله. حتى إذا كان ذات يوم ـ أو ذات ليلة ـ وهو عندى، لكأنه دعا ودعا. ثم قال:

« يا عائشة أشَعَرْتِ أن الله أفتانى فيما استفتيته فيه؟ أتانى رجلان، فقعد أحدهما عند رأسى، والآخر عند رجلىّ، فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ فقال: مطبوب. قال: من طبّه؟ قال: لبيد بن الأعصم. قال: فى أى شىء؟ قال: فى مشط ومشاطة، وجفّ طلع نخلة ذكر. قال: وأين هو؟ قال: فى بئر ذروان».

فأتاها رسول الله ﷺ فى ناس من أصحابه. فجاء فقال:

« يا عائشة! كأن ماءها نقاعة الحنّاء. وكأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين.

قلت: يا رسول الله! أفلا استخرجته؟ قال: **«قد عافانى الله، فكرهت أن أثير على الناس فيه شراً »**

فَأَمَر بهـا فدفنت (١).

وفى روايـة للبخارى :

كان رسول الله ﷺ سُحِر، حتى كان يرى أنه يأتى النساء ولا يأتيهن. قال سفيان: وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان كذا، فقال:

« يا عائشة! أعلمت أن الله قد أفتانى فيما استفتيته فيه؟ أتانى رجلان، فقعد أحدهما عند رأسى، والآخر عند رجلىّ، فقال الذى عند رأسى للأخر: ما بال الرجل؟ قال: مطبوب. قال ومن طبه؟ قال لبيد بن الأعصم. رجل من بنى زريق، حليف ليهود، كان منافقا. قال: وفيم؟ قال: فى مشط ومشاطة. قال: وأين؟ قال: فى جفّ طلعة ذكر، تحت رعوفه فى بئر ذروان » .

قالت: فأتى النبى ﷺ البئر حتى استخرجه. فقال: **«هذه البئر التى أريتها، وكأن ماءها نقاعة الحناء، وكأن نخلها رؤوس الشياطين »** .

(١) البخارى : ٧٦ ـ الطب ٤٧ (٥٧٦٣) واللفظ له، ومسلم: ٣٩ ـ السلام ٤٣ (٢١٨٩)، وأحمد : ٦ :٥٧ وابن ماجه: ٣١ ـ الطب ٤٥ (٣٥٤٥) وانظـر: الطبقات الكبرى: ٢ : ١٩٦ ـ ١٩٩.

قال: فاستخرج. قالت فقلت: أفلا؟ ـ أى تَنَشَّرْتَ ـ فقال:

«أما والله! فقد شفانى، وأكره أن أثير على أحد من الناس شراً» (١).

وفى رواية للنسائى بسند صحيح عن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال:

سَحَرَ النبىَّ ﷺ رجل من اليهود، فاشتكى لذلك أياما، فأتاه جبريل عليه السلام، فقال: إن رجلا من اليهود سحرك، عقَد لك عُقَداً فى بئر كذا وكذا، فأرسل رسول الله ﷺ فاستخرجوها فجىء بها فقام رسول الله ﷺ، كأنما نشط من عقال. فما ذكر ذلك لذلك اليهودى، ولا رآه فى وجهه قط (٢).

تلك أهم روايات الحديث، وهى لاتحتاج إلى إثبات صحة..

الحديث ثابت عند أهل العلم:

قال ابن القيم بعد أن ذكر الروايات الدالة على سحر النبى ﷺ (٣).

وهذا الحديث ثابت عند أهل العلم بالحديث، متلقى بالقبول بينهم، لا يختلفون فى صحته.

وقد اعتاص على كثير من أهل الكلام وغيرهم، وأنكروه أشد الإنكار، وقابلوه بالتكذيب.

وصنف بعضهم فيه مصنفا منفردا حمل فيه على هشام، وكان غاية ما أحسن القول فيه أن قال:

غلط، واشتبه عليه الأمر، ولم يكن من هذا شىء، قال: لأن النبى ﷺ لا يجوز أن يسحر، فإنه تصديق لقول الكفار:

﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ (٤).

قالوا: وهذا كما قال فرعون لموسى:

﴿إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ (٥).

---

(١) البخارى: ٧٦ ـ الطب ٤٩ (٥٧٦٥).

(٢) النسائى: ٧:١١٢ ـ ١١٣، وانظر: أحمد: ٤:٣٦٧، والفتح الكبير: ٣:٣٩٤.

(٣) التفسير القيم: ٥٦٦ وما بعدها بتصرف.

(٤) الفرقان: ٨. (٥) الإسراء: ١٠١.

وكما قال قوم صالح له:

﴿إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ﴾[1].

وكما قال قوم شعيب له :

﴿إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ﴾[2].

قالوا: فالأنبياء لا يجوز عليهم أن يسحروا، فإن ذلك ينافى حماية الله لهم، وعصمتهم من الشيطان.

وهذا الذى قاله هؤلاء مردود عند أهل العلم، فإن هشاما من أوثق الناس وأعلمهم، ولم يقدح فيه أحد من الأئمة بما يوجب رد حديثه، فما للمتكلمين وما لهذا الشأن؟!

وقد رواه غير هشام عن عائشة.

وقد اتفق أصحاب الصحيحين على تصحيح هذا الحديث.

ولم يتكلم فيه أحد من أهل الحديث بكلمة.

والقصة مشهورة عن أهل التفسير والسنن والحديث والتاريخ والفقهاء، وهؤلاء أعلم بأحوال رسول الله وأيامه من المتكلمين..

متى كان السحر وما مدته؟:

وقد بين الحافظ فى فتح البارى مدة مرضه بهذا السحر، والسنة التى وقع فيها بما نصه :[3].

بين الواقدى السنة التى وقع فيها السحر، أخرجه عنه ابن سعد بسند له إلى عمر بن الحكم مرسل قال:

لما رجع رسول الله ﷺ من الحديبية فى ذى الحجة، ودخل المحرم من سنة سبع، جاءت رؤساء اليهود إلى لبيد الأعصم: وكان حليفا فى بنى زريق، وكان ساحراً، فقالوا له: يا أبا الأعصم : أنت أسحرنا، وقد سحرنا محمدا فلم نصنع شيئا، ونحن نجعل لك جعلا على أن تسحره لنا سحرا ينكؤه، فجعلوا له ثلاثة دنانير.

---

(١) الشعراء: ١٥٣.　　(٢) الشعراء : ١٨٥.

(٣) فتح البارى : ١٠: ٢٢٦.

ووقع فى رواية أبى ضمرة عند الإسماعيلى: فأقام أربعين ليلة.

وفى رواية وهيب عن هشام عند أحمد: ستة أشهر.

ويمكن الجمع بأن تكون الستة أشهر من ابتداء تغير مزاجه، والأربعين يوما من استحكامه.

وقال السهيلى: لم أقف فى شىء من الأحاديث المشهورة على قدر المدة التى مكث النبى ﷺ فيها فى السحر، حتى ظفرت به فى جامع معمر عن الزهرى أنه لبث ستة أشهر، كذا قال، وقد وجدناه موصولا بالإسناد الصحيح فهو المعتمد.

قال الشنقيطى : (1) والجمع بأن تكون الستة أشهر ابتداء تغير مزاجه عليه الصلاة والسلام، والأربعين يوما من استحكامه هو المتعين، لأنه لم يشتهر أن مرضه هذا عليه أتم الصلاة والسلام طال به، ولو طال به لنقل متواترا، لتوفر الدواعى على نقله، لشدة شأنه عند أصحابه وتابعيهم، لكنه لم يطل، ولم يتعد حال من عقد عن النساء مدة يسيرة فزال ذلك بالقرب.

« التخيل » من قول عائشة على سبيل المبالغة :

وتخيل أنه يفعل الشىء وما فعله لم يرو فى الصحيحين إلا من لفظ عائشة رضى الله عنها، فلم يكن من لفظ رسول الله ﷺ ، ولم يشعر لفظها هى أيضا أن ذلك التخيل دام عليه مدة، بل ذكرته على سبيل المبالغة بحتى، حيث قالت: سحر حتى كان يخيل إليه أنه يفعل الشىء وما فعله.

فلعله ذات يوم استفهم عائشة عن شىء شك هل فعله أم لا؟ فأطلقت عليه أنه صار يخيل إليه أن يفعل الشىء، أى من أمر نكاح النساء، وهو لم يفعله، لعقده عنهن،فقالت هى ذلك للناس، لتألمها من مرضه عليه الصلاة والسلام، وأما هو عليه الصلاة والسلام فلم يرو عنه إلا الحديث الدال على المرض، بدليل قوله فى مراجعة الملكين الكائنين فى صفة رجلين:

« ما وجع الرجل ؟ » .

فقال المجيب منهما :

« مطبوب » .

---

(1) زاد المسلم : 4: 224 ـ 225.

وقوله بعد ما أخرج المشط والمشاطة وما معهما مما عمل فيه السحر:

« قد عافانى الله».

وفى رواية:

« وشفانــى»

ففى نفس الحديث التصريح بالوجع وبالمعافاة منه، فدل هذا على أنه مجرد مرض، وليس فى لفظ الرسول ﷺ أنه صار يخيل إليه فعل ما لم يفعله، وتعبير عائشة بذلك إنما هو على حسب ما ظهر لها أنه تخيل، ولا يلزم من لفظها أنه شيء دائم عليه..

ويؤيد جميع ما قررناه أنه لم ينقل عنه فى خبر ولو نقلا ضعيفا أنه قال قولين فكان الأمر بخلاف ما أخبر به من أمور الدنيا أحرى من أمورالشرع، وما حصل له من المرض بسبب سحر اليهودى لو لم يعين موضع السحر الذى سحر به لتوهم أنه كغيره من البشر إذا أصيب بالسحر، ولكنه أخبر بموضع السحر فأخرج منه، ووجد على الوصف الذى ذكره عليه الصلاة والسلام، وهكذا حال من أكرمه الله واصطفاه بالرسالة.

وقد قالت أخت اليهودى الذى سحره: إن يكن نبيا فسيخبر.

فقد وقع فى مرسل عبد الرحمن بن كعب عند ابن سعد، فقالت أخت لبيد بن الأعصم: إن يكن نبيا فسيخبر، وإلا فسيذهله هذا السحر حتى يذهب عقله.

قال ابن حجر: فوقع الشق الأول كما فى الحديث...

فالحاصل أن التخيّل على فرض حصوله وقتا فى أمر دنيوى لم يستمر بل زال، وأبطل الله كيد الساحر، ولم ينله ضرر منه، إلا ما كان يناله من ضرر سائر الأمراض.

لا تصـديق للمشركين ولا موافقـة :

وإذا كانوا يقـولون:

إن هذا الحديث يصدق المشركين فى قولهم :

﴿ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾[1].

---

(١) الفرقـان : ٨ .

وأن هذا يزيل الثقة بما جاء به الرسول، فإن الكفار كانوا يقولون :

﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [1].

فهل نكذبهم ؟

وبالإجمال: كانوا يقولون أقوالا كثيرة صادقة فهل نكذبهم فيها لئلا نكون مصدقين للكفار؟.

ما قال هذا أحد!

بل الصدق يجب أن يصدق، والكذب يجب أن يكذب، سواء أكان هذا أو ذاك من كافر أم من مؤمن .

وإنما معنى ذلك أن الظالمين كانوا ينسبون إلى الرسل كل ما يظنونه قادحا فى رسالتهم وصدقهم وإن كان واقعا حقا لا يقدح فيهم، كما ظن هؤلاء أن السحر يقدح فى الرسالة فكذبوا الأخبار فيه، والظن خطأ، إذاً ليس كل ما قاله الكفار كذبا، وإذا ليس تكذيبهم فى كل شىء قالوه لازما.

وإننا نعلم يقينا أن الكفار لايريدون بقولهم هذا أن يثبتوا للرسول ﷺ ما أثبته هذا الحديث ...

إنهم لايريدون ذلك، وإنما يريدون بقولهم هذا أن رسول الله ﷺ إنما يصدر عن خيال وجنون فى كل مايقول ويفعل ، وفيما يأتى ويذر، وأنه ليس رسولا، وأن القرآن ليس من عند الله، وإنما هو خيال مسحور، وبناء عليه ليس علينا تصديقه، ولا اتباعه، فإذا آمنا بما دل عليه الحديث، قلنا : إن الرسول ﷺ سحر بضعة أيام، لم نكن مصدقين للمشركين، ولا موافقيهم فيما أرادوا، لأن الذى عناه الحديث غير الذى عناه هؤلاء الظالمون، وإذا تغاير القصدان لم يكن هناك تصديق ولا موافقة.

وقد علمنا عصمته من جواز الاختلاط عليه فى الوحى ، وأنه معصوم فى تبليغه ببراهين كثيرة .

وإذا كان البرهان على العصمة مما خافوه فى جميع الحالات لم نخش ماذكروا [2].

---

(١) الفرقان : ٧ .

(٢) دفاع عن الحديث النبوى : ٢٠١ ـ ٢٠٢ بتصرف .

أعلى درجات الصحيح السبع :

قال الشنقيطى : (١) .

هذا الحديث الصحيح الذى هو أعلى درجات الصحيح السبع لاتفاق الشيخين عليه وغيرهما، غير مصادم لنص القرآن الذى هو قوله تعالى إخبارا عن قول الكفرة :

﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ (٢).

لأن المراد به عندهم أنه مجنون، فهو كقولهم :

إن هو إلا رجل مجنون ! وحاشاه عليه الصلاة والسلام من ذلك .

لا منافاة بين الآية والحديث :

وإن قدر ضعيف العقيدة أن ظاهر قوله تعالى :

﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾

يصادم هذا الحديث، فقولهم هذا الذى ذكر الله عنهم فى القرآن كان قبل قصة سحر اليهودى للنبى ﷺ الذى مرض بسببه ـ كما عرفنا ـ وبه تعلم أنه لامنافاة بين الآية المذكورة وبين سحر اليهودي له عليه الصلاة والسلام .وقد فصلت القول فى ذلك فى كتاب حديث السحر فى الميزان .

حكم المتواتر :

وبتأمل ما حققناه هنا يظهر أن الحديث إذا اتفق عليه الشيخان صار له حكم المتواتر، كما صرح به الحافظ ابن الصلاح وغيره من الحفاظ، كالحافظ العراقى، وابن دقيق العيد، والحافظ ابن حجر، وغيرهم ..

الحديث من أعلام النبوة :

ولم يقل أحد إن هذا السحر أصاب عقل النبى ﷺ ، ولا خلط عليه شيئا من أمر الرسالة، بل أطلعه الله عليه، فأخبر أصحابه بمحله، فوجدوه فى المحل الذى أخبر به،فكان ذلك من أعلام نبوته، وشفى الله رسوله عليه الصلاة والسلام من المرض، وباء الساحر

---

(١) زاد المسلم : ٤ : ٢٢٢ بتصرف .

(٢) الفرقان : ٨ .

بالخزى ولم يفلح، كما قال تعالى :

﴿ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ (١) .

والأمور لاينظر فيها إلا إلى عواقبها، والنصر فى العاقبة يكون دائما للرسل، ولمن كان على قدمهم من أممهم، كما دل عليه قوله تعالى :

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ (٢) .

ولا يضرهم مايحصل لهم من كفار أممهم، فتأمل منصفا .

العرافة:

والعرافة من الأعمال المفضلة لدى الحاخامات، ويذكرها التلمود كثيرا، فيقول: « إن بعض الحاخامات كانوا قادرين على خلق الإنسان والبطيخ » (٣) .

وجاء أن أحد الحاخامات أحال امرأة إلى أتان، ثم ركبها وذهب إلى السوق، وهناك قام حاخام آخر بإعادتها إلى صورتها الأصلية .

ويزعم الحاخامات أن إبراهيم عليه السلام ، كان يعرف العرافة، لأنه أعطى بعض الهدايا لأبنائه كانت فيها قوة السحر، وكان هو نفسه يعلق حول عنقه عقدا يتوسطه حجر يشفى كل من رآه !

وهناك قصص وخرافات لانهاية لها عن معجزات الحاخامات وأساطير الأفاعى، والضفادع، والأوز والطيور والأسماك !

والتلمود يقص أسطورة سبع غابة « الآى » الذى أراد قيصر روما رؤيته، فلما وصل على بعد ٤٠٠ ميل من روما زأر سقطت جدران روما، وحين بلغ على مسافة ٣٠٠ ميل زأر مرة أخرى سقط الناس على ظهورهم، وخرجت أسنانهم ساقطة على الأرض، أما القيصر فسقط عن عرشه، وعندئذ ألح القيصر بإعادة السبع إلى مكان مأمون !

ويقول التلمود: إن هناك ثورا وحشا فى اليوم الأول من عمره، حجمه مثل حجم جبل الطور، ولذلك كان من الصعب على سيدنا نوح أن ينقذ أحدا من هذه الثيران، لأنه

---

(١) طه : ٦٩ .　　(٢) غافر : ٥١ .

(٣) التلمود: تاريخه وتعاليمه: ٨١ نقلا عن : الأدب العبرى : ٢٧ ـ ٢٨ .

لم يكن فى وسعه وضع أحدها فى السفينة، فربط ثورا واحدا بقرنه فى السفينة !

ويرى التلمود أن الله خلق آدم ذا وجهين، رجلا من ناحية، وامرأة من ناحية أخرى، ثم قطعه من النصف، وأن طوله كان يصل القبة الزرقاء، ولكن بعد خطيئته وضع الله يده على رأس آدم وكبسه حتى صار صغيرا، وأنه أتى الخطيئة فى الساعة العاشرة بعد خلقه، ثم طرد من الجنة فى الساعة الثانية عشر !

ويتحدث التلمود عن كثير من الحاخامات الأكولين السكارى، ويذكر أن أكراش بعضهم طالت بحيث كان من الممكن لو أخرج كرش أحدهم لمشى تحته زوج من الثيران، وأن أحد الحاخامات قتل حاخاما آخر فى حالة سكر، ثم أتى بمعجزة، فأعاد الحاخام القتيل إلى الحياة، وفى السنة التالية دعا الحاخام صاحبه لحفل خمر ولكنه رفض قائلا: «المعجزات لا تحدث كل يوم» .

قول الدكتور « جوزيف باركلى » :

إن التملود مركب عجيب لآراء متناقضة وخرافية .. ويختلف مع التوراة كثيرا فى أحكامه، ويبيح تقديم الأطفال قربانا للإله « مولوخ » كما يبيح الغش، وفيه أن الحاخامات يعلمون شعبهم كراهية المسيجيين والأجانب، ولا يجوز لأحد الأطباء اليهود أن يعالج الأجانب إلا بقصد الحصول على المال، أو للتمرن على المهنة، ولا يجوز له إنقاذ أرواح الأجانب فى مواسم الأمراض..وهناك خرافات وأعاجيب فى التلمود يضيق المقام عن ذكرها .

وما أصدق ما قاله الدكتور« جوزيف باركلى » عن التلمود:

بعض أقوال التلمود مغال، وبعضها كريه، وبعضها الآخر كفر، ولكنها تشكل فى صورتها « المخلوطة» أثرا غير عادى للجهد الإنسانى، وللعقل الإنسانى، وللحماقة الإنسانية » ! (١) .

ماذا تقول العبرانية ؟

ويقول الدكتور حسن ظاظا أستاذ العبرية بجامعة الإسكندرية :

---

(١) المرجع السابق : ٩١ .

« قد يستطيع الإنسان تزييف الحقائق، وقد يسهل عليه أن يكذب ويكذب، حتى يصدق هو نفسه كل أكاذيبه، وينسى أنه مخترعها الأصلى، ولكن رغم هذا يبقى دائما شيء واحد: الكلمة المكتوبة منذ آلاف السنين، والآثار التى تحدد بالضبط عمر الأشياء وعمقها، ومخطوطات التاريخ التى تظل دائما هى المرجع، وكلمة الصدق الوحيدة التى لاتميل مع أهواء البشر، حتى إذا حدث ومالت، فبين سطورها تستطيع الحقيقة دائما أن تجد لها مكانا » .

« وعدونا الإسرائيلي حاول كثيرا أن يزيف ويخدَع ويبتزّ العواطف والأموال والمعونات، وما زال يفعل متجاهلا وناسيا أن مخطوطاته هو وآثاره وتلموده تروى بلغته العبرية حكايات وحكايات تفضح كل محاولاته، تفضح وجوده وتاريخه وتراثه وحقه المدعى فى الأرض المغتصبة .. ومن الغريب فعلا أنهم لم يحرقوها أو يدمروها ، كما فعلوا بغيرها، وتركوها تقول كلمة صدق في صف آخر غير صفهم » (١) .

حرق التلمود وإعدامه :

وقد هوجم التملود بشدة فى العصور الوسطى (٢) ، باعتباره أهم مصدر للتعاليم اليهودية التى أدت مقاومة اليهود للسلطة والدين المسيحى، سرا وعلانية، وقد قال الإمبراطور «هونور يوس» فى إحدى القوانين التى أصدرها: « إن الحاخامات مخربون » .

وحيث كان العهد القديم ـ المكتوب بالعبرية ـ مقدسا لدى المسيحيين أيضا، فكل غضبهم كان موجها إلى التلمود، باعتباره مصدر الشر الكامن فى اليهود .

وقد حمل الملوك والباباوات حملات شديدة ضد التلمود، منذ القرن الثالث عشر، وصدرت الأوامر بإتلاف نسخ التلمود فى فرنسا فى عهد لويس (٣) . من سنة ١٢٢٦ حتى سنة ١٢٧٠ كما حدث ذلك فى إنجلترا أيضا سنة ١٢٩٠ حين أمر الملك بطرد اليهود عن البلاد ، بعد أن اكتشف حيلهم ومكرهم ومقتهم للشعب الإنجليزى المسيحى .

وتقول دائرة المعارف اليهودية العامة: إن ٢٤ عربة محملة بالكتب العبرية أحرقت

---

(١) المرجع السابق: ٩٢ ـ ٩٣ نقلا عن : أخبار اليوم، القاهرة، لغة العدو ـ ماذا تقول ؟ عدد ١٩٧٠/٧/١٨ م

(٢) المرجع السابق: ٤٠ وما بعدها بتصرف .

(٣) لأول مرة أحرقت نسخ التلمود فى فرنسا سنة ١٢٤٤ فى باريس : دائرة المعارف البريطانية ط ١٩٠٥ والولايات المتحدة : الأمريكية ١٢ : مادة « تلمود » .

فى باريس سنة ١٢٤٢ فى يوم واحد، وإن « مئير » من بلدة « روثنبرغ » شاهد هذه المأساة، وألف رثاء منظوما يردد إلى اليوم في كثير من كنائس اليهود (١) .

وهاجم مجلس المدينة فى بولندا عام ١٨٤٠ « التملود » بأنه « مصدر احتقار اليهودية للدين المسيحى » وكان أسقف بولندا قد فرض قبل ذلك بقرن غرامة على التلموديين، وأمر بإحراق كل نسخ التلمود .

مناظرات بين المسيحيين واليهود :

وأحد أهم الأسباب التى أدت إلى اتخاذ هذه الإجراءات العنيفة هى المناظرات التى كانت تقام بين المسيحيين واليهود، وكان يجب على الحاخامات أن يدافعوا عن فكرهم ويبرروا تعاليم التلمود، وكان الذى يدفع المسيحيين إلى إقامة هذه المناظرات هو ارتداد أحد اليهود عن دينه، من وقت إلى آخر، وقبوله المسيحية، واعترافه بتعاليم التلمود الهدامة المعادية للمسيحية وغير اليهود .

وأهم اليهود المرتدين الذين اشتركوا فى فضح ومقاومة التلمود هما « نيكولاس دونين » و « بابلوكريستيانى » .

وقد عقدت مناظرة بين « بابلوكريستيانى » والحاخام « موسى بن نحمان » فى برشلونه سنة ١٢٢٣ م .

ورغم أن « دائرة المعارف اليهودية » تذكر هذه المناظرة الكبرى إلا أنها لاتخبرنا بنتائجها كشأنها فى إغفال وتجاهل كل مالايروق لها، ولنا أن نستنبط مما ذكرته دائرة المعارف هذه أن البابا « كليمنت التاسع » أصدر مرسوما سنة ١٢٦٤على أثر هذه المناظرة، أمر فيه بمصادر وإحراق التلمود، ويبدو أن « بابلوكريستيانى » استطاع إفحام الحاخام اليهودى بشأن اتهاماته .

---

(١) إنه لأمر مريب يشكك فى حقيقة القصة التى سبق ذكرها فى الهامش السابق بأن التلمود أحرق فى باريس لأول مرة سنة ١٢٤٤ ثم يأتى محرر دائرة المعارف اليهودية العامة بعد ٤٣ سنة ليكشف لنا عن واقعة خطيرة، كالتى سبقت أنها وقعت قبل الواقعة المذكورة بسنتين، وحيث إن الحقائق التاريخية التى نحن بصددها ليست من النوع الذى يكتشف بالحفريات أو الاكتشافات المثيرة عن الصخور، فيبقى سؤالنا قائما: لم سكت محرر دائرة المعارف اليهودية الأول عن هذا الحادث الخطير، ثم خرج به محرر دائرة معارف يهودية أخرى؟! مع ملاحظة أن هذا الأخير لم يشر إلى أى مصدر استقى منه معلوماته !

وتضيف « دائرة المعارف اليهودية» أن إحدى هذه المناظرات أقيمت بأمر من البابا «بينديكت » واستمرت لسنة وتسعة شهور فى طرطوسة ، ونستخلص من ذلك أن المسيحيين أعطوا اليهود أكبر وأطول فرصة للدفاع عن عقائدهم، وإلافغير مفهوم أن تستمر المناظرة طوال هذه الفترة إذا كانت الكنيسة منحازة مسبقا ضد اليهود، كما يدعون باتهامها باللاسامية وكراهية اليهود .

مريم وعيسى :

ونذكر من هذا النوع محاكمة عادلة أجرتها الملكة « بلانش » فى ٢٤ من يونيو سنة ١٢٤٠ م اعترف فيها اليهود بكثيرمن معتقداتهم الخطيرة، وكان مما ترجم من التلمود عن مريم والمسيح أثناء هذه المحاكمة مايلى :

« إن يسوع الناصرى موجود فى لجات الجحيم[١] ، بين الزفت والنار وأن أمه أتت به من العسكرى ـ الجندى ـ « باندارا » بمباشرة الزنا، وإن الكنائس النصرانية هى بمثابة قاذورات، وأن الواعظين فيها أشبه بالكلاب النابحة، وأن قتل المسيحى من الأمور المأمور بها، وأن العهد مع المسيحى لا يكون عهدا صحيحا يلتزم اليهودى القيام به، وأن من الواجب ـ دينا ـ أن يلعن ثلاث مرات رؤساء المذهب النصرانى، وجميع الملوك الذين يتظاهرون بالعداوة ضد بنى إسرائيل » .

ولسنا بصدد الحديث عن الكنائس وأصحابها ومايجرى فيها .. حتى لايطول الحديث .

أما فى الإسلام فحسبنا أن نقرأ قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ الْعَٰلَمِينَ يَٰمَرْيَمُ اقْنُتِى لِرَبِّكِ وَاسْجُدِى وَارْكَعِى مَعَ الرَّٰكِعِينَ ﴾[٢] .

وأى اصطفاء ؟! [٣] . وهو يختارها لتلقى النفخة المباشرة، كما تلقا ها أول هذه الخليقة «آدم » ؟ وعرض هذه الخارقة على البشرية من خلالها وعن طريقها ؟ إنه الاصطفاء للأمر المفرد فى تاريخ البشرية .. وهو بلا جدال أمر عظيم ..

---

(١) الكنز المرصود فى قواعد التلمود: ١١ وانظر أهم المناظرات فى : التلمود: تاريخه وتعاليمه: ٤٤ هامش.

(٢) آل عمران : ٤٢ ـ ٤٣ .

(٣) فى ظلال القرآن : ١: ٣٩٥ ومابعدها بتصرف .

ولكنها ــ حتى ذلك الحين ــ لم تكن تعلم ذلك الأمر العظيم !

والإشارة إلى الطهر هنا إشارة ذات مغزى . وذلك لما لابس مولد عيسى عليه السلام من شبهات لم يتورع اليهود أن يلصقوها بمريم الطاهرة، معتمدين على أن هذا المولد لامثال له في عالم الناس، فيزعموا أن وراءه سرا لايشرف .. يحدوهم الحق اليهودى قبحهم الله !

وهنا تظهر عظمة هذا الدين القيم، ويتبين مصدره عن يقين .. فها هو ذا خاتم النبيين ﷺ الذى يلقى من أهل الكتاب ما يلقى من التكذيب والعنت والجدل.. هاهو ذا ينزل ينزل عليه من ربه قرآن كريم بحقيقة مريم وتفضيلها على « نساء العالمين » بهذا الإطلاق الذى يرفعها إلى أعلى الآفاق. وهو فى معرض مناظرة مع القوم الذين يعتزون بمريم ، ويتخذون من تعظيمها مبررا لعدم إيمانهم بخاتم النبيين ﷺ !

أى صدق ؟ وأية عظمة؟ وأية دلالة على مصدر هذا الدين القيم وصدق خاتم النبيين ﷺ !

إنه يتلقى « الحق » من ربه، عن مريم وعن عيسى عليه السلام، فيعلن هذا الحق، فى هذا المجال .. ولو لم يكن رسولا من الله الحق ما أظهر هذا القول فى هذا المجال بحال !

﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾

طاعة وعبادة، وخشوع وركوع، وحياة موصولة بالله تمهيدا للأمر العظيم الخطير. ويشير السياق القرآنى إلى شىء من حكمة مساق القصص .. إنه إثبات الوحى ، الذى ينبىء النبى ﷺ بما لم يكن حاضره من أنباء الغيب، فى هذا الأمر :

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ (١) .

وهى إشارة إلى ماكان من تسابق إلى كفالة مريم .. وكل ذلك من الغيب الذى لم يكن خاتم النبيين حاضره، ولم يبلغ إلى علمه .. وربما كان من الأسرار التى لا تفشى ولا تباح للإذاعة بها، فاتخذها القرآن فى مواجهة أهل الكتاب دليلا على وحي من الله لخاتم النبيين ﷺ .. ولم يرد أنهم ردوا هذه الحجة . ولو كانت موضع جدال لجادلوه، وهم قد جاءوا للجدال !

---

(١) آل عمران : ٤٤ .

وينتقل السياق القرآنى إلى مولد عيسى : العجيبة الكبرى فى عرف الناس، والشأن العادى للمشيئة الطليقة:

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (١).

لقد تأهلت مريم ــ إذن ــ بالتطهر والقنوت والعبادة لتلقى هذا الفضل، واستقبال هذا الحادث، وهاهى ذى تتلقى ــ لأول مرة ــ التبليغ عن طريق الملائكة بالأمر الخطير ..

بشارة كاملة ، وإفصاح عن الأمر كله.

بشارة بكلمة من الله .. وقد تضمنت نوعه واسمه ونسبه وصفته ومكانه من ربه .. كما تضمنت ظاهرة معجزة تصاحب مولده، ولمحة من مستقبله وسمته والموكب الذى ينتسب إليه :

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾

فأما مريم الفتاة العذراء الطاهرة المقيدة بمألوف البشر فى الحياة، فقد تلقت البشارة كما يمكن أن تتلقاها فتاة. واتجهت إلى ربها تناجيه وتتطلع إلى كشف هذا الأمر الذى يحير عقل الإنسان :

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾

وجاءها الجواب، يردها إلى الحقيقة البسيطة التى يغفل عنها البشر، لطول ألفتهم للأسباب والمسببات الظاهرة ، لعلمهم القليل ، ومألوفهم المحدود :

---

(١) آل عمران: ٤٥ ــ ٥١ .

﴿قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾

وحين يرد الأمر إلى هذه الحقيقة الأولية يذهب العجب، وتزول الحيرة، ويطمئن القلب، ويعود الإنسان على نفسه يسألها فى عجب : كيف عجبت من هذا الأمر الفطرى الواضح القريب !

وهكذا نبصر القرآن ينشئ التصور الإسلامى لهذه الحقائق الكبيرة، بمثل هذا اليسر الفطرى القريب ..

وهكذا نراه يجلو الشبهات التى تثيرها الفلسفات المعقدة، ويقر الأمر فى القلوب وفى العقول سواء ..

ثم يتابع البشارة لمريم عن هذا الخلق الذى اختارها الله لإنجابه على غير مثال، وكيف ستمضى سيرته فى بنى إسرائيل .. وهنا تمتزج البشارة لمريم بمقبل تاريخ المسيح، ويلتقيان فى سياق واحد، كأنما يقعان اللحظة، على طريقة القرآن الكريم :

﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾

ونبصر النص يذكر أن كل خارقة من هذه الخوارق التى جاءهم بها، إنما جاءهم بها من عند الله ، ولم يدع القول يتم ليذكر فى نهايته إذن الله زيادة فى الاحتياط، وهذه المعجزات فى عمومها تتعلق بإنشاء الحياة أو ردها، أو رد العافية وهى فرع عن الحياة، ورؤية غيب بعيد عن مدى الرؤية .. وهى فى صميمها تتسق مع مولد عيسى ، ومنحه الوجود والحياة على غير مثال، إلا مثال آدم .. ولا حاجة إذن لكل الشبهات والأساطير التى نشأت عن هذا المولد الخاص متى رُدّ الأمر إلى مشيئة الله الطليقة !

﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾

إنه يعلن حقيقة التصور الاعتقادى التى قام عليها الدين: المعجزات التى جاءهم بها لم يجىء بها من عند نفسه. فماله قدرة عليها وهو بشر. إنما جاءهم بها من عند الله .. ودعوته تقوم ابتداء على تقوى الله وطاعة رسوله .. ثم يؤكد ربوبية الله له ولهم على

السواء ـ فما هو برب وإنما هو عبد ـ وأن يتوجهوا بالعبادة إلى الله، فلا عبودية إلا لله .. ويختم قوله بالحقيقة الشاملة .. فتوحيد الله وعبادته، وطاعة الرسول والنظام الذى جاء به: « هذا صراط مستقيم» وماعداه عوج وانحراف . وماهو قطعا بالدين ..

ومن بشارة الملائكة لمريم بابنها المنتظر، وصفاته ورسالته ومعجزاته و كلماته، هذه التى ذكرت ملحقة بالبشارة .. ينتقل السياق مباشرة إلى إحساسه عليه السلام بالكفر من بنى إسرائيل، وإلى طلبه الأنصار لإبلا غ دين الله :

﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ (١) .

لقد أحس عيسى الكفر من بنى إسرائيل ... بعدما أراهم كل تلك المعجزات التى لاتتهيأ لبشر، والتى تشهد بأن قدرة الله وراءها، وأن قوة الحق تؤيدها، وتؤيد من جاءت على يده ... ثم على الرغم من أن المسيح جاء ليخفف عن بنى إسرائيل بعض القيود والتكاليف .. عندئذ دعا دعوته:

﴿ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ﴾

من أنصارى إلى دين الله ودعوته ومنهجه ونظامه ؟ من أنصارى إلى الله، لأبلغ إليه، وأؤدى عنه؟ لأنه لابد لكل صاحب عقيدة ودعوة من أنصار ينهضون معه، ويحملون دعوته، ويبلغونها إلى من يليهم، ويقومون بعده عليها.

﴿ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾

فذكروا الإسلام بمعناه الذى هو حقيقة الدين، وأشهدوا عيسى عليه السلام على إسلامهم هذا ، وانتدابهم لنصرة الحقِ أى نصرة الرسول والدين ومنهجه فى الحياة.. ثم اتجهوا إلى ربهم يتصلون مباشرة به فى هذا الأمر الذى يقومون عليه:

﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾

وفى هذا التوجه لعقد البيعة مع الله مباشرة لفتة ذات قيمة .. إن عهد المؤمن هو ابتداء مع ربه، ومتى قام الرسول بابلاغه فقد ا نتهت مهمة الرسول من ناحية الاعتقاد،

---

(١) آل عمران : ٥٢ ـ ٥٣ .

وانعقدت البيعة مع الله ، فهى باقية فى عنق المؤمن بعد الرسول.. وفيه كذلك تعهد لله باتباع الرسول . فليس الأمر مجرد عقيدة فى الضمير، ولكنه اتباع لمنهج، والاقتداء فيه بالرسول .. ثم عبارات أخرى تلفت النظر فى قول الحواريين: « فاكتبنا مع الشاهدين » .

فأى شهادة وأى شاهدين ؟

إن المسلم المؤمن بدين الله مطلوب منه أن يؤدى شهادة لهذا الدين .. شهادة تؤيد حق هذا الدين فى البقاء، وتؤيد الخير الذى يحمله هذا الدين للبشر ... وهو لايؤدى هذه الشهادة حتى يجعل من نفسه ومن خلقه ومن سلوكه ومن حياته صورة حية لهذا الدين.. صورة يراها الناس فيرون فيها مثلا رفيعا، يشهد لهذا الدين بالأحقية في الوجود، وبالخيرية والأفضلية على سائر ما فى الأرض من أنظمة وأوضاع وتشكيلات .

وهو لايؤدى هذه الشهادة كذلك حتى يجعل من هذا الدين قاعدة حياته، ونظام مجتمعه، وشريعة نفسه وقومه. فيقوم مجتمع من حوله، تدبر أموره وفق هذا المنهج الإلهى القويم .. وجهاده لقيام هذا المجتمع ، وتحقيق هذا المنهج، وإيثاره الموت فى سبيله على الحياة فى ظل مجتمع آخر لايحقق منهج الله فى حياة الجماعة البشريه .. هو شهادته بأن هذا الدين خير من الحياة ذاتها،وهى أعز ما يحرص عليه الأحياء ! ومن ثم يدعى «شهيداً» .

فهؤلاء الحواريون يدعون الله أن يكتبهم مع الشاهدين لدينه .. أى أن يوفقهم ويعينهم فى أن يجعلوا من أنفسهم صورة حية لهذا الدين، وأن يبعثهم للجهاد فى سبيل تحقيق منهجه فى الحياة، وإقامة مجتمع يتمثل فيه هذا المنهج ، ولو قدموا ثمن ذلك حياتهم ليكونوا من الشهداء على حق هذا الدين .

وهو دعاء جدير بأن يتأمله كل مسلم .. فهذا هو الإسلام، كما فهمه الحواريون . وكما هو فى ضمير الصادقين !

ويمضى السياق القرآنى إلى قوله .

﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [1] .

جاء فى المنار : [2] . أى ومكر أولئك الذين أحس عيسى منهم الكفر به فحاولوا قتله،

(١) آل عمران : ٥٤ .

(٢) تفسير المنار : ٣: ٣١٥ .

وأبطل الله مكرهم فلم ينجحوا فيه، وعبر عن ذلك بالمكر على طريق المشاكله ، كذا قال الجمهور ..

وننتقل سراعا إلى قوله تعالى:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ (١).

إن ولادة عيسى عجيبة حقا بالقياس إلى مألوف البشر. ولكن أية غرابة فيها حين تقاس إلى خلق آدم أبى البشر؟

وأهل الكتاب الذين كانوا يناظرون ويجادلون حول عيسى - بسبب مولده - ويصوغون حوله الأوهام والأساطير بسبب أنه نشأ من غير أب.. أهل الكتاب هؤلاء كانوا يقرون بنشأة آدم من التراب. وأن النفخة من روح الله هى التى جعلت منه هذا الكائن الإنسانى.. دون أن يصوغوا حول آدم الأساطير التى صاغوها حول عيسى. ودون أن يقولوا عن آدم: إن له طبيعة لاهوتية. على حين أن العنصر الذى به صار آدم إنسانا هوذاته العنصر الذى به ولد عيسى من غير أب: عنصر النفخة من روح الله فى هذا وذاك! وإن هى إلا الكلمة: « كن» تنشىء ما تراد له النشأة « فيكون»!

وهكذا تتجلى بساطة هذه الحقيقة..حقيقة عيسى ، وحقيقة آدم، وحقيقة الخلق كله.. وتدخل إلى النفس فى يسر وفى وضوح ، حتى ليعجب الإنسان: كيف ثار الجدل حول هذا الحادث، وهو جاروفق السنة الكبرى.. سنة الخلق والنشأة جميعا !

وهذه هى طريقة « الذكر الحكيم » فى مخاطبة الفطرة بالمنطق الفطرى الواقعى البسيط، فى أعقد القضايا، التى تبدو بعد هذا الخطاب وهى اليسر الميسور !

معسكر واحد :

وإن تعجب فعجب أن ترى هذا التقارب وذلك التعاطف بين أتباع المسيح عليه السلام وهؤلاء الذين لعنهم الله، والذين قالوا زورا عن المسيح وأمه ما قالوا، مما يرده القرآن الكريم، والحديث النبوى، حتى وجدناهم أخيرا فى معسكر واحد ضد الرسالة والرسول ﷺ، وبخاصة فى فلسطين ، بعد أن تحرك جيشنا فى العاشر من رمضان وهدم خط « برليف » !

---

(١) سورة آل عمران : آية ٥٩.

شاهد على الحقيقة :

وندعو هؤلاء إلى قراءة كتيب « فضح التلمود: تعاليم الحاخامين السرية» للأب «برانايتس» الذى قامت منظمة« التشيكا»ـ أى المخابرات السوفيتية الشيوعية ـ بتصفيتهم إبان الأيام الأولى من الثورة البلشفية فى روسيا. فقد جاء فى مقدمة الطبعة الإنكليزية التى كتبها «ى. ان . سانشوارى » أنه يرسل أشعة فى طريق ذلك الذى أشعل ضوء العلانية ـ بالنسبة لأسرار التلمود ـ فى منشورات أخرى.

وجاء فى خاتمته:فى هذا الكتيب استشهدت فقط بقدر ضئيل جدا مما فى الكتب التلمودية التى تشير إلى المسيحيين وتتحدث عنهم، وقد حذفت للإيجاز ورحمة بروحك الحساسة، الكثير الذى كنت أستطيع تضمينه هذا الكتيب مع ذلك، فإن هذه النصوص المستقاة من التلمود، التى يضمها هذا الكتيب، ستكون كافيه للبرهنة على زيف روايات اليهود، عندما يدعون أن لا شىء فى التلمود يعلم بغض المسيحيين وعداوتهم .

وإذا كانت ستثيرك ـ عزيزى القارىء ـ دراسة التجديفات الرهيبة التى يشتمل عليها هذا الكتيب، فلا تنفس عن غضبك هذا بلومى،فأنا لم أقل فى البداية بأنى سأعرض أو سأنطلق إلى رواية أى شىء سار لطيف، لكنى أردت فقط أن أضع بين يديك ما الذى يعلمه« التلمود » حقا عن المسيحيين ولا أعتقد أن بإمكانى أن أفعل ذلك بطريقة ملائمة أكثر من هذه .

مع هذا، فإنى أدرك أنه بما أن الحقيقة لا ترضى الجميع، فثمة كثيرون سيصبحون أعدائى، لأنى صمدت إلى هذا الحد شاهدا على الحقيقة.

وقد نُبِّهت إلى هذا الأمر وذُكِّرت به، عن طريق قوانين « التلمود» نفسه، التى تهدد «الخونة» بالموت. بل إننى حُذِّرت من أولئك الذين خبروا نشاطات اليهود إزاء الذين يعرفون الأمور غير المرضية عن اليهودية.

ولقد تنبأ الجميع بأننى سوف أموت بأيدى اليهود أنفسهم، وبغيه الحيلولة دون انطلاقى قدما فى سبيل تحقيق عملى هذا، تَوَسَّلَ إِلَيَّ فريق بأن أتذكَّر مصير البروفسور «تشارينى» الذى اغتيل على حين غرة، بعدما أخذ على عاتقه ترجمة « التلمود» إلى العامية.

وذكَّرنى فريق ثان بمصيرالراهب« ديداكوس فى فيلنا»، المتحوّل عن اليهودية، الذى صرعوه بوحشية، وبمصائر آخرين لقوا من الاضطهاد أقسى ضروبه، لإفشائهم أسرار

الديانة اليهودية.

حتى إن فريقا ثالثا حذرنى من خطر أولئك القريبين منى. وقد سمعت مئات المرات التحذير التالى باللغة البولونية:

« لكن اليهـود سيقتلونـك » .

إن الكتيب الذى بين يديك هو خير برهان على أننى لم أبال بتحذيرات أصدقائى هذه.

إننى أعتقد أنه ليس من الإنصاف أن أبقى صامتا للحفاظ على سلامتى الشخصية، بينما الصراع محتدم بين معسكرى« الساميين» و « المعاد للسامية »[1] كلاهما يدعى أنه يعمل من أجل الحقيقة، فيما أعرف أنا أن الحقيقة لا يمكن العثور عليها عند أى من المعسكرين..

ومهما يصيبنى مما قلت، فسأتحمله بكل سرور.. بل إننى مستعد للتضحية بحياتى .

حتى أصمد شاهدا على الحقيقة « ١٢١ »

« آى . بى . برانايتس »

« المهم المحزن أن نعيد إلى الأذهان ملاحظة ما ذكر أعلاه، ونحن نقول: إن الأب «برنايتس» التقى فعلا بحتفه، كما تنبأه، على أيدى أعدائه اليهود إبان الثورة البلشفية سنة ١٩١٧م فى روسيا » .

« ى . إن سانشوارى : مترجم الكتيب من اللاتينية إلى الإنكليزية » .

---

(١) يقصد المؤلف هنا طبعا ـ كسائر الكتاب والمؤلفين الأجانب الذين يعتبرون اليهود ساميين ـ معسكرى « اليهود » و «المعادين لليهود ».

أهـــم المـــراجـــع

١ـ الأدب العبرى، للدكتور جوزيف باركلى، نيويورك ١٩٠١م

٢ـ الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام، للدكتور على عبد الواحد وافى، ط نهضة مصر.

٣ـ إظهار الحق، للشيخ رحمة الله الهندى، تقديم الأستاذ عمر الدسوقى.

٤ـ بنو إسرائيل فى القرآن والسنة، للدكتور محمد سيد طنطاوى، جامعة البصرة، ط أولى ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.

٥ـ تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) لابن كثير، البابى الحلبى.

٦ـ تفسير الطبرى(جامع البيان عن تأويل القرآن) لابن جرير الطبرى، البابى الحلبى، ط ثالثة ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨م.

٧ـ تفسير القاسمى (محاسن التأويل) للقاسمى، تعليق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى، البابى الحلبى، ط أولى ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٧م.

٨ـ تفسير القرطبى(الجامع لأحكام القرآن) للقرطبى، دار إحياء التراث العربى، بيروت ١٩٦٧م.

٩ـ التفسير القيم، لابن قيم الجوزية، جمع محمد أويس القرنى، تحقيق محمد حامد الفقى، ط دار الكتب العلمية، بيروت.

١٠ـ تفسير مقاتل(التفسير الكبير) لمقاتل بن سليمان، تحقيق الدكتور عبد الله محمود شحاته، مخطوط بمكتبة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة.

١١ـ تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم) للشيخ محمد عبده، تأليف محمد رشيد رضا، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

١٢ ـ التلمود: تاريخه وتعاليمه، للأستاذ ظفر الإسلام خان، دارالنفائس، ط سادسة ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥م.

١٣ـ التلمود شريعة إسرائيل، لجنة من الأساتذة، دار القاهرة للطباعة ١٩٥٧م.

١٤ـ جاهلية القرن العشرين، للأستاذ محمد قطب، دار الشروق ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.

١٥ـ دائرة المعارف اليهودية العامة: نيويورك ١٩٤٨م.

١٦ـ دائرة المعارف اليهودية: الولايات المتحدة الأمريكية ١٩٠٣ ـ ١٩٠٥م.

١٧ـ دفاع عن الحديث النبوى وتفنيد شبهات خصومه، لجماعة من العلماء، ط الإمام، القاهرة .

١٨ـ الرسالة، للشافعى، تحقيق الأستاذ أحمد محمد شاكر.

١٩ـ زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى ومسلم (فتح المنعم ببيان ما احتيج لبيانه من زاد المسلم) للشنقيطى، ط مؤسسة الحلبى وشركاه للنشر والتوزيع.

٢٠ـ سنن ابن ماجه، تحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى، ط دار الفكر العربى .

٢١ـ سنن أبى داود، ط مصر، التجارية، الأولى وط المدينة المنورة.

٢٢ـ سنن الترمذى (الجامع الصحيح) للترمذى ط بولاق ١٢٩٢هـ والهند، والحلبى ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

٢٣ـ سنن النسائى، بشرح جلال الدين السيوطى، وحاشية السندى، ط دار الكتاب العربى، بيروت.

٢٤ـ صحيح البخارى، مع فتح البارى، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقى، الرياض الحديثة.

٢٥ـ صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى، دار إحياء التراث العربى.

٢٦ـ الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد، دار بيروت للطباعة والنشر.

٢٧ـ عون المعبود: شرح سنن أبى داود، لابن القيم الجوزية، تحقيق عبد الرحمن عثمان، السلفية، ط ثانية ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.

٢٨ـ فتح البارى: شرح صحيح البخارى، لابن حجر، الرياض الحديثة، البطحاء، الرياض.

٢٩ـ الفتح الكبير فى ضم الزيادة إلى الجامع الصغير، لجلال الدين السيوطى، ترتيب

يوسف النبهانى، ط دار الكتب العربية الكبرى.

٣٠- الفصل فى الملل والنحل، لابن حزم، وبهامشه الملل والنحل، للشهرستانى ، دار الفكر ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م.

٣١- فضح التلمود: تعاليم الحاخاميين السرية،للأب آى. بى . برانايتس، إعداد الأستاذ زهدى الفاتح، دار النفائس.

٣٢- فى ظلال القرآن، للأستاذ سيد قطب دار الشروق، بيروت ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

٣٣- قصة الحضارة: لديورانت، ترجمة الأستاذ محمد بدران.

٣٤- الكتاب المقدس (العهد القديم والجديد) ط بيروت.

٣٥- الكنز المرصود فى قواعد التلمود، للدكتور روهلنج، ترجمة الدكتور يوسف رزق الله، القاهرة ١٨٩٩م.

٣٦- مسند أحمد، وبهامشه كتاب منتخب كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال، للمتقى الهندى، ط الميمنية بمصر.

٣٧- المسند - له أيضا - تحقيق الأستاذ أحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.

٣٨- المغنى فى الضعفاء، للذهبى، تحقيق الدكتور نور الدين عتر، دار المعارف، حلب.

٣٩- مقارنة الأديان: اليهودية، للدكتور أحمد شلبى النهضة المصرية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط ثانية ١٩٦٧م.

٤٠- الموطأ، لمالك بن أنس، تحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى، دار إحياء التراث العربى.

٤١- ميزان الاعتدال فى نقد الرجال، للذهبى، تحقيق الأستاذ على محمد البجاوى، عيسى البابى الحلبى.

٤٢- اليهودية والصهيونية، للأستاذ أحمد عبد الغفور عطار، دار الأندلس، بيروت، ط أولى ١٣٩١هـ - ١٩٧٢م.

وهناك كتب ومطبوعات أخرى رجعنا إليها، وأشرنا إلى موضع النقل منها فى حينه.

الفهـــرس

الموضوع | الصفحة

مطابع الوفاء ـ المنصورة